

جامعة مولود معمري- تيزي وزو
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية
فرع فلسفة



قراءة في تجليات خطاب رسالة التسامح عند "جون لوك"

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر

* اشراف الأستاذة :-

د. معيز حورية

*من اعداد الطالبان:

بوزيد نسرين

ميروف فريدة

العام الدراسي: 2016 - 2017



الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

أهدي عملي المتواضع:

إلى كل عائلتي

إلى كل من علمني، وأخذ بيدي، وأنار لي طريق العلم والمعرفة

و النجاح إلى كل من شجعني في رحلتي إلى التميز

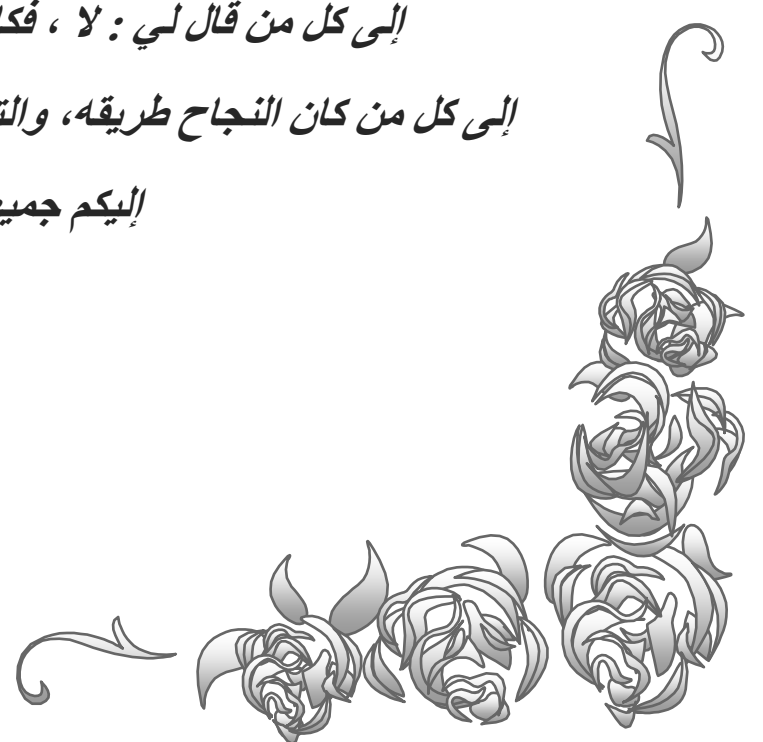
إلى كل من ساندني، ووقف بجانبني

إلى كل من قال لي : لا ، فكان سببا في تحفيزي

إلى كل من كان النجاح طريقه، والتفوق هدفه، والتميز سبيله

إليكم جميعا.

* بوزيد نسرين



الاهداء

إلى كل من أضاء بعلمه عقل غيره
أو هدى بالجواب الصحيح حيرة سائله
فأظهر بسماحته تواضع العلماء
وبرحابته سماحة العارفين
أهدي عملي إلى كل الأهل و الأقارب ...
و إلى سندي في الحياة زوجي العزيز
و إلى كل من دعا لي دعوة للنجاح

* مياروف فريدة

✦ شكر و تقدير ✦

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا
الواجب ووفقنا إلى انجاز هذا العمل .

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب
أو من بعيد على انجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهنا من
صعوبات، ونخص بالذكر الأستاذة المشرفة التي لم تبخل علينا
بتوجيهاتها ونصائحها القيمة التي كانت عوناً لنا في إتمام هذا
البحث.

ميروف فريدة

بوزيد نسرين

الفهرس

الصفحة	العنوان
07.....	المقدمة
	الفصل الأول : مدخل استهلالي: نظري - منهجي.
16.....	المبحث الأول: الفكر السياسي المسيحي في العصر الوسيط.....
20....	المبحث الثاني : التيارات الفلسفية التي تأثر بها "لوك" و أهميته في حركة التنوير.....
26.....	المبحث الثالث : فلسفة "لوك".....
	الفصل الثاني : التأسيس المعرفي للتسامح الديني عند "لوك".
31.....	المبحث الأول : الليبرالية عند "لوك"
42.....	المبحث الثاني : مفهوم التسامح الديني.....
46.....	المبحث الثالث : التسامح الديني عند "لوك".....
	الفصل الثالث : التعايش السلمي و مقومات الحوار.
55.....	المبحث الأول : التعايش السلمي والتسامح في الاسلام.....
59.....	المبحث الثاني : التعددية الدينية
64.....	المبحث الثالث : الحوار بين الأديان و الثقافات
71.....	الخاتمة
74.....	المصادر و المراجع.....

مقدمة

مقدمة :

إن تأمل تطور الفكر السياسي العالمي عموماً و الغربي على وجه الخصوص ، من العصر الإغريقي حتى يومنا هذا يوضح أن هذا الفكر قد بلور رؤى و تحاليل مختلفة باستخدام آليات عديدة بسيطة حيناً و معقدة حيناً آخر، و باتباع منطلقات مغايرة حملت في طياتها طروحات و انجازات كان لها الدور الكبير في صنع الحضارات بمختلف صورها لتأمين حياة الأفراد و المجتمعات سياسياً ، و اجتماعياً ، و اقتصادياً ، و ثقافياً ، و أخلاقياً ...

و هذا ما أدى بنا في بداية بحثنا إلى الإشارة إلى الفكر السياسي المسيحي في العصر الوسيط و الذي استمد أساسياته من الحضارة الرومانية ، كما حاولنا أن نبين الدور الذي لعبته الديانة المسيحية في إنتاج الفكر السياسي في ذلك العصر. و بمجيء العصر الحديث ظهر فلاسفة و مفكرون نادوا بضرورة التحرر من سلطة الكنيسة و الدعوة إلى عدم تدخل الحكام في الشؤون العقائدية للأفراد .

و نحن في بحثنا هذا ركزنا على الفيلسوف الإنجليزي "جون لوك" الذي تأثر كثيراً بالفلاسفة السابقين له و قد ساهم بقدر معتبر في حركة التنوير ، كونه دعا إلى احترام القيم الإنسانية و الحرص على أن تكون لمبادئها و لأسسها أثر ملحوظ على أرض الواقع . و هذه القيم تضم عدداً من المقولات كالصدق ، و الحب ، و العدل، و التسامح ، و الحرية في الدين و الممارسة السياسية . كما أن "لوك" بنى الفكر السياسي القائم على أسس ليبرالية إذ انطلق من الحالة الطبيعية السابقة على أي سلطة ، و انتهى إلى تأسيس نظرية العقد الاجتماعي التي تعمل على خلق جماعة و هيئة ألا و هي الحكومة التي تختار انطلاقاً من أسس ديمقراطية إذ يسهر هذا الجهاز على صون حقوق الأفراد و حماية ملكياتهم و على هذا الأساس قسم "لوك" الحكومات و فصل بين السلطات و أقر بحق المقاومة.

و في خضم هذه التناقضات ، و الأحداث ، و التطورات برزت لدى لوك فكرة التسامح أو بالأحرى التسامح الديني بوصف التسامح فضيلة يجب أن تكون ضوء تستنير به الإنسانية جمعاء . ما يمكننا قوله كفكرة أولية أن فكرة التسامح شكلت محور اهتمام الفلاسفة و المفكرين

منذ القديم حتى يومنا هذا ليس فقط لدى مفكري الغرب و بل حتى مفكري العرب و الإسلام ذلك أن التسامح - على أصعدة مختلفة - يعتبر موقفا مميذا و هدفا ساميا للإنسان و المجتمع على حد سواء.

اتصفت فترة القرون الوسطى بالنزاع الموجود بين الكنيسة و المؤسسات الغير الدينية و التي تسببت في حروب دامية و خسائر لا تعد و لا تحصى ما أدى بفلاسفة عصر التنوير إلى المناداة بالتسامح الديني ، و كان لهم تأثيرا واضحا في المجتمعات الغربية من خلال القضاء التعصب الديني المغلق ، و إقامة الدين على العقل و بناء منظومة لحقوق الإنسان مبنية على أسس التسامح و مبدأ الفصل بين دور الكنيسة و بين دور الأجهزة السياسية التي تمثلها الدولة و تحقيق المساواة بين جميع الطوائف الدينية ، و عدم التعصب للدين معين ، و احترام جميع الاديان و المعتقدات.

و من خلال دراستنا لفكر جون لوك السياسي ارتأينا إلى أن نخصص موضوع بحثنا لفكرة التسامح عنده . و اختيار هذا الموضوع بالذات هو لأسباب كثيرة من بينها :

1. اهتمامنا بفكرة التسامح لأنها لا محالة مرتبطة برؤى واضحة و منسجمة عن التواصل و الحوار اللذان يفترضان دورهما وعيا تاما بالتباين السيسولوجي ، و الإيديولوجي و بالاختلاف الثقافي .

و في سياق هذه الأفكار تم التأسيس الفعلي لرؤية فلسفية لفكرة التسامح عند الكثير من الفلاسفة و المفكرين . و قد وقع اختيارنا على الفيلسوف الإنجليزي جون لوك .

2. و لأن الآنية " العربية" كونها ارتبطت في كثير من الأحيان بالموروث الغربي في صورته القديمة و الحديثة و حتى المعاصرة مرورا بالفترة الوسيطية ، فإن الحديث عن التسامح و دوره ، و فعالياته من حيث أبعاده الاجتماعية و الثقافية ، و السياسية يقتضي تحليلا و نقدا و هذا ما سنحاول تقديمه في هذا البحث و تحليله في الفصل الأخير.

إن الدافع العلمي و القناعة الشخصية بأولوية دراسة الخطاب سواء تعلق بالتسامح بالدرجة الأولى ، أو الحوار أو الحق أو الحرية أو القيمة ... هو ما شكل حافزا معنويا لنا لاختيار هذا الموضوع أي التسامح الديني عند جون لوك . و لتأكيد عن هذه الأفكار و النظر من خلال تطورها التاريخي ، ارتأينا العودة إلى الفترة الوسيطية - و لو بصورة اجمالية - لأنها اتصفت بالنزاع الذي كان سائدا بين الكنيسة و المؤسسات غير الدينية ، و لأنها أيضا هي التي مهدت لظهور الكثير من الآراء عند فلاسفة التنوير مثل ما جاء به "فولتير" ، و ما طوره "جون ستيوارت ميل" و هي كلها كتابات جاءت من أجل إرساء دعائم التسامح ، و قد فتح لنا هؤلاء الفلاسفة الباب من أجل اثناء بحثنا و التوصل إلى آفاق جديدة في مفهوم التسامح الذي أصبح في الخطابات المعاصرة يشمل معاني أخرى كالتعايش بين الشعوب و المساواة في الحقوق و أصبح بمثابة المحرك الأساسي للاعتراف بالتعددية و حق الاختلاف ، خاصة أن العالم العربي الإسلامي بحاجة ماسة لاحتضان هذه المضامين الجديدة لمفهوم التسامح لتشجيع الحوار و التعارف بين مختلف الشعوب .

إن اشكالية التسامح كان لها أثرا في التفكير التنويري كما اشرنا إليه سابقا ، و يظهر ذلك في الدراسات المتخصصة خلال فترة العصر الحديث ، كرسالة التسامح لجون لوك و فولتير . و تبقى الدراسات حول مبدأ التسامح الديني في العصر التنويري ضئيلة لكن كان لها تأثيرا في صياغة الوعي الاسلامي في الواقع العربي.

ضمن هذه الفرضيات يمكن صياغة اشكالية المضمون تبعا لعدة تساؤلات من بينها :

-فيما يتجلى خطاب التسامح الديني الذي نادى به "لوك" ؟

-ما مدى مساهمة مبدأ التسامح في القرن السابع عشر و الثامن عشر ؟ وما مدى مساهمته كمبدأ للنزعة الإنسانية التي قامت على احترام العقل في مواجهة اللاهوت و الأفكار الماورائية و الدوغماتية ؟.

- ما هو تأثيرها على الفلسفات الغربية ، و الفلسفات العربية الإسلامية ؟.

- ما هي خلاصة الأفكار التي استقطبها جون لوك و تبناها من خلال استخدامه للجهاز المفاهيمي و المنهجي لعرض نظريته النقدية ؟.

- للتحقيق من فرضنا و لبناء الإجابة عن الإشكالية ارتأينا تشكيل خطة عملنا وفق منهجية تتكون من مقدمة و ثلاث فصول و خاتمة متبوعة بقائمة المصادر و المراجع .
أما المقدمة فهي بمثابة التصور العام لمجموع التساؤلات حول موضوع دراستنا .

في الفصل الاول من البحث الذي هو بعنوان : مدخل تمهيدي : نظري- منهجي حيث قسمناه إلى ثلاث مباحث، و تطرقنا في المبحث الأول إلى أهم الأفكار السياسية التي سادت في العصور الوسطى المسيحية و ذلك بدراستنا لنوعين من النظريات التيقراطية و اللتان ظهرتا في زمن كان فيه الحكام يجمعون في أيديهم بين صفة الحاكم و الكاهن . أما البحث الثاني قمنا فيه بدراسة التيارات الفلسفية التي تأثر بها لوك و كيف كان له تأثير في عصر التنوير . و في المبحث الثالث و الاخير في هذا الفصل تحدثنا عن أهم الافكار التي كانت في فلسفة لوك كمنظريته في المعرفة و آراؤه في الدين ، و كيفية تأسيسه للأخلاق.

أما الفصل الثاني الموسوم بصلب الموضوع الذي يتمحور حول فكرة التسامح الديني عند "لوك" و العلاقة بين الكنيسة و الدولة .و قسمناه إلى ثلاث مباحث أساسية ركزنا في المبحث الاول على عرضنا لأهم الأسس و المبادئ الليبرالية في فكر لوك السياسي ، و كيف كان تصوره للحالة الطبيعية و العقد الاجتماعي . و المبحث الثاني قمنا بتحليل فكرة التسامح الديني بالتعرف على مفهومه و نشأته . و في المبحث الثالث ركزنا على مبدأ التسامح الديني عند لوك و أبرزنا أهم آرائه في الدين .

فيما يخص الفصل الثالث و الأخير الذي يحمل عنوان : التعايش السلمي و مقومات الحوار حاولنا تسليط الضوء على أهم المفاهيم المرتبطة بفكرة التسامح كالتعايش و التعددية الدينية ففي المبحث الاول تناولنا مفهوم فكرة التسامح في الاسلام ، أما المبحث الثاني تطرقنا إلى مفهوم التعددية في الواقع العربي الإسلامي ، و في المبحث الثالث و الأخير تعرفنا على أهم مقومات الحوار و أهمية التسامح في بناء التعارف بين الثقافات .

و لما كانت هذه لدراسة محاولة لاستكشاف و تحليل مسألة معقدة مرتبطة بحقل معرفي واسع له علاقة بالمفهومية المعرفية و القيمة و السياسية و الاجتماعية... في كتابات مفكر و باحث في فكرة التسامح الديني أو بالأحرى خطاب التسامح ، لزم أن يكون المنهج المتبع فيها ملائما لطبيعية طرق القراءة النقدية المعاصرة ، لذلك جاءت طريقة الدراسة تحليلية نقدية مدعمة بين الحين و الآخر بسند منهجي يتشكل أساسا من المنهج التاريخي الذي وظفناه من أجل تتبع المسار النقدي و الاستدلال ببعض المواقف المرجعية سواء في الغرب أو في العالم الغربي من أجل دراسة مقارنة بين الصيغ المقدمة عند الغرب ، و تلك الموجودة عند العرب بالمنظور الاسلامي.

و لا يسعنا إلا نختم هذه المقدمة بالإشارة إلى عقبات و صعوبات صادفناها خلال هذا البحث يمكننا اجمالها في النقاط التالية :

و هي صعوبة الحصول على معلومات مباشرة لفكرة من الافكار نود التوسع فيها فبالتالي اقتضى الامر قراءة و إعادة قراءة بعض المقالات العلمية للوصول إلى الاستنتاجات المفيدة و توضيح الرأي المراد بيانه .

و رغم هذا حاولنا تجاوز هذه العقبات ، و اقتحمنا هذا الموضوع بفضل الله تعالى و تشجيعات أساتذتنا الدكتورة حورية منصوري معيز و نشكرها على تشجيعاتها و توجيهاتها و تصويباتها في تقويم بعض الخطى المتعثرة لهذا العمل فجزاها الله بنا خير جزاء .

و في الاخير نتقدم بالشكر الجزيل لأساتذتنا أعضاء اللجنة الموقرة على قراءتهم البحث و على التوجيهات و الملاحظات التي يتفضلون بتقديمها ، و ما هي إلا دافعا لنا لبذل المزيد من الجهد ، و إعادة النظر من أجل التصحيح و التعديل ، و أي عمل أكاديمي يخلو من النقص ؟ و عليه نحن في تمام الاستعداد لكل ملاحظة توجه إلينا في هذا الشأن.

الفصل الأول: مدخل استهلاكي: نظري- منهجي.

المبحث الأول: الفكر السياسي المسيحي في العصر الوسيط.

المبحث الثاني : التيارات الفلسفية التي تأثر بها "لوك" و أهميته في حركة التنوير.

المبحث الثالث : فلسفة "لوك".

• مفهوم الخطاب :

يستخدم مصطلح الخطاب باعتباره عنصرا في الحياة الاجتماعية حيث يشير إلى اللغة المنطوقة أو المكتوبة ، "فهي عملية فكرية تجري خلال عمليات جزئية ..."¹.

عرف الخطاب بتعريفات عدة على مر العصور ، و اختلاف الأمكنة و ازداد أمر تعريفه صعوبة في العصر الحديث مع ظهور الاتجاهات الفلسفية ، و اللغوية و المنهجية المختلفة ففي كل مرة يظهر اتجاه فلسفي حديث و يظهر معه تعريف جديد للخطاب يتجاوز القديم إن لم يلغيه كلية . و هناك عدة كتب تناولت بالبحث هذه الإشكالية و أسالت الكثير من الحبر حول هذا الموضوع.²

ورد مصطلح الخطاب في المعاجم و القواميس و الموسوعات العربية و غير العربية منها المتخصصة في اللغة العربية أو الفلسفة أو علم الكلام أو فقه اللغة ...

في لسان العرب لم يخرج ابن منظور جمال الدين محمد ابن مكرم في تحديد مفهوم الخطاب عن دلالة الكلام و معاييرهِ . و هو الضبط الذي يذهب إليه الكثير من علماء اللغة قديما و حديثا . يقول ابن منظور : " الخطاب و المخاطبة مراجعة الكلام و قد خاطبه بالكلام مخاطبة و خطاب ، و هما يتخاطبان و الخطبة مصدر الخطيب و خطب الخاطب على المنبر اختطب يختب خطابه و اسم الكلام الخطبة"³.

¹- اندريه لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية اشرف احمد عويدات ، تر أحمد خليل (ط2 ، بيروت : منشورات عويدات 2001) ، الخطاب ، مجلد 1 . ص 287.

²- حورية منصورى معيز ، ابستمولوجيا الخطاب بين المقاربة الفلسفية و المقاربة السيميائية نماذج نصية من الفلسفة الإسلامية (رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، سنة 2016 . ص 43.

³- ابن منظور، لسان العرب (ط3 ، بيروت : دار صادر 1994 ، ج5، خطب ، ص 362.

و الخطاب من الألفاظ المتداولة في أصول الفقه، و يراد به توجيه الكلام نحو الغير قصد الإفهام. كما تتردد في كتب أصول الفقه مصطلحات : دليل الخطاب ، و فحوى الخطاب و معنى الخطاب... الخ

مختلف الخطابات قد تستعير أدوات بعضها البعض و تسمح لنفسها باستعارة مقولات الخطاب الخصم و يعيد تأويلها لتتمكن من توظيف سياقها الخاص، لهذا لا تكون الخطابات متقاربة فقط في طبيعة الإشكاليات التي تتناولها و في طبيعة التحديات التي تتولد عنه ¹.

كثيرا ما تختلف تعاريف الخطاب عندما يقترن بأوصاف أخرى مثل الخطاب الصوفي و الخطاب الديني ، و الخطاب الأخلاقي، و الخطاب الإعلامي ، و الخطاب الفلسفي و الخطاب السياسي ... الخ " لذلك ورد الخطاب بتعريفات متنوعة في هذه الميادين العديدة بوصفه فعلا يجمع بين القول و العمل، فهذا من سماته الأصلية و ليس في هذا تشتت بقدر ما فيه غنى و سعة في التصنيف " ².

تطورت نبذة أخرى لمفهوم الخطاب في عمل ميشال فوكو في كتابه "حفريات المعرفة " و الخطاب في استعماله الفوكوي هو نمط من أنماط تنظيم المعرفة في علاقاتها بالمؤسسات المادية ، فله علاقة بممارسات السلطة و صورها التي غالبا ما جذر في تنظيمات تسيطر و تبنى على معارف منهجية مميزة ³.

هناك خطاب يستند إلى العقل و التفكير الحر كما كان سائدا في اللغة اليونانية ، و هو فعل يدل على الحديث و الجدل ، و يبدو أن أقدم استعمال معروف لهذا اللفظ " ظهر في الفلسفة

¹- ناصر حامد أبو زيد ، الخطاب و التأويل (ط3 ، المغرب : المركز الثقافي العربي 2008) ، ص 06-07.
²- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية (ط1 ، ليبيا : دار الكتاب الجديدة المتحدة 2004) ، ص 34.
³- طوني بينيت و آخرون ، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة و المجتمع ، تر ساعد الغانمي (ط1 ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة 2010) ، ص 324.

اليونانية القديمة ، و خاصة في خطابي الثنائي الفلسفي الأثيني المشهور أفلاطون و ارسطو¹. و هو ذو طبيعة جدالية أساسا يدور بين شخصين أو أكثر .

و هذا ما نجده أيضا عند المفكرون الغربيون الذين أنتجوا خطابا في التسامح الديني و أبرزهم "جون لوك" خلال رسالته في التسامح حيث يري فيه مخرجا لجميع الصراعات و الازمات القائمة آنذاك ، و غياب التسامح يعني انتشار ظاهرة التعصب و العنف، و من أجل الخروج من هذا الوضع لابد من تأسيس التسامح فلسفيا و سياسيا و دينيا.

¹ - عبد الرزاق الداوي ، في الثقافة و الخطاب عن حرب الثقافات (ط1 ، بيروت : المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات 2013)، ص 97.

المبحث الاول : الفكر السياسي المسيحي في العصر الوسيط.

1. النظريات السياسية في الفكر المسيحي الوسيط :

اتفق أغلب المؤرخين على أن العصور الوسطى يمكن تحديدها بداية من القرن الخامس الميلادي (حوالي عام 468 م) بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية « بسبب تدهور الأحوال الاقتصادية في الداخل و الغزوات التي كانت تتعرض لها على أيدي القبائل الجرمانية مما أدى إلى انتشار هذه القبائل في مختلف أرجاء القارة الأوروبية »¹. و في ذلك الحين كانت المسيحية قد أرست دعائمها بعد الاعتراف بها كدين رسمي للإمبراطورية الرومانية، و هي عقيدة دينية قامت في مجتمعاتها مؤسسات دينية كالكنيسة، و سياسية كالإقطاعية* و الإمارة. يرى بعض الباحثين « أن الأنساق الفكرية للعقائد الدينية ليست لها صلة بالشأن السياسي و لا تمتلك أي رؤية فكرية دينية إلهية لقضايا السلطة و مشكلات الحكم² » فالفكر العقائدي الديني لا يتدخل في أي شأن من شؤون القضايا السياسية. و ذهب آخرون إلى عكس ذلك تماما « مؤكدين شمولية تلك العقائد »³ و اعتبروا أن هذه الأديان تمثل رؤية فكرية دينية لقضايا الحكم .

إن حضور الأديان و عقائدها في الحياة الإنسانية و تأثيرها أمرا لا يمكن تجاهله، أو نكرانه و هو حضور عام مما يجعل الجانب المرتبط بالظاهرة السياسية جزءا أساسيا منه طالما أن الأديان تنشأ أصلا في بيئة اجتماعية لا تخلوا من حضور السلطة السياسية ، مما يعني حتمية تعايش الظاهرتين الدينية و السياسية ، و ذلك من الطبيعي تأكيد العلاقة التأثيرية بينهما.

¹- د.فضل الله محمد اسماعيل ، فلسفة سياسية (د ط ، الاسكندرية : دار الجامعة الجديدة ، 2008) ، ص 281.
* الاقطاعية : نظام لملكية الأرض يقوم على أساس شكل من أشكال العلاقة الشخصية بين مالك الأرض و الزراعة .
²- د.عبد رضا الطعان ، علي عباس مراد ، عامر حسن فياض ، موسوعة الفكر السياسي عبر العصور (ط1 ، بيروت : ابن النديم للنشر و التوزيع ، 2015) ، ص 319.
³- المرجع نفسه ، ص 319.

يقدم الفكر السياسي الغربي الوسيط نموذجاً لتلك العلاقة التأثيرية المتبادلة بين الديني و السياسي، التي جسدتها في العالم الغربي في العصور الوسطى المساهمة المسيحية في انتاج فكر سياسي.

يرى الباحثون أن المسيحية ساهمت كثيراً في تأييد نظرية الإرادة العامة، فهي نظرية تقوم على دعائم أخلاقية و هذه الدعائم بدورها دعى إليها الدين المسيحي بإقامة العدل بين الناس وأوجب الرحمة و الإحسان و المساواة بصرف النظر عن أوضاعهم الاجتماعية» فالإنسان بذاته جدير بالاحترام باعتباره إنساناً لا أكثر ، و الناس جميعاً من خلق الله لا فرق بينهم و إليه يرجعون حيث يحاسبون على أعمالهم الدنيوية¹ « فإن الله وحده هو المسيطر على هذا الكون و أوجب على الإنسان إقامة العدل و الرحمة، فقوانين الله العليا يجب أن تخضع لها قوانين الدولة و تسترشد بها.

لكن إذا كانت السيادة تأتي من الله فكيف يمكن تحديد صاحب الحق في مباشرتها ؟
للإجابة على هذا السؤال يستدعي لنا دراسة نوعان من النظريات التيقراطية* هما :

(1) نظرية الحق الإلهي المباشر:

يرى أنصار هذه النظرية أن قوة الله هي التي أوجدت السلطة السياسية و هي التي عينت الشخص الذي يكون له الحكم السياسي في الدولة، فسلطة الملوك مستمدة من الله تعالى الذي أيدهم بقوته لرعاية مصالح الأفراد، فالحاكم و ما يحمله من فساد في نظامه السياس هو نتيجة لطبيعة الانسان الفاسدة ، و قد اعتقد المسيحيين « أن الله فرض هذا النوع من الحياة على الإنسان بسبب "الخطيئة الأولى" فمن ثم على الإنسان أن يطيع الحاكم أياً كانت تصرفاته إلا عندما يتدخل في تعاليم الكنيسة، على أساس أن تلك ، إرادة الله² .

¹ - د. فضل محمد اسماعيل ، فلسفة سياسية ، مرجع سبق ذكره . ص 282.
* التيقراطية : هو النظام الذي يستند إلى فكرة دينية منها نظرية الحق الإلهي التي تعتبر الله مصدراً لسلطة ، و تستمد مقوماتها من المشيئة الإلهية و هي قامت في العصور الوسطى و تميزت بالتعصب الديني.

² - د. فضل محمد اسماعيل ، فلسفة سياسية ، مرجع سبق ذكره. ص 284 .

كما قد قام آباء الكنيسة الأوائل ببناء نظرتهم عن الحق الإلهي في الحكم على حد قول الرسول بولس Saint Paul* : « بخضوع جميع الناس للسلطات العليا ، ذلك لأن الله هو الذي وضع هذه السلطات في أيدي الملك ».¹

(2) نظرية الحق الإلهي غير المباشر:

يرى أصحاب هذه النظرية أن الله لا يختار الملوك بإرادته مباشرة ، و لكن العناية الإلهية هي التي توجه الحوادث و إرادات الأفراد، و من ثم فإن السلطة تأتي من الله الى الحكام بواسطة الشعب و اختياره و لقد كانت هذه النظرية أول محاولة للحد من السلطات المطلقة للملوك في العصور الوسطى المسيحية ، « فإن الملك لا يمارس السلطة السياسية باعتبارها حقا شخصيا رهينا بقوته المادية ، لأن القوة المادية لا تصلح سندا لنظام سياسي دائم² » و الملك يمارس السلطة السياسية باعتبارها حقا شخصيا رهينا باختيار الناس له و بالتعاقد بينه و بينهم باعتبارهم الوسطاء بينه و بين السلطة التي تأتي من الله.

إن هذه النظرية لا ترفض فكرة الإرادة العامة بل تتسع لها و هذه الإرادة مستمدة من إرادة الله. و هي بمثابة تطور لنظرية الحق الإلهي المباشر التي « نشأت إثر الصراع الديني بين الدولة و الكنيسة في أوروبا في العصور الوسطى إبان حركة الإصلاح الديني³ ». فعند انهيار الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس ميلادي أصبحت الكنيسة مسيطرة على العالم المسيحي كله ، و بمقتضى هذا التطور أصبح من حق البابا و حق السلطة الروحية أن تمارس سلطتها على جميع المسيحيين، بما فيهم الحكام أنفسهم .

* القديس بولس :يعرف أيضا بـ : بولس الرسول هو أحد قادة الجيل المسيحي الأول و ينظر إليه البعض على أنه ثاني أهم شخصية في التاريخ المسيحي بعد يسوع نفسه.

¹- المرجع نفسه .ص 284.

²- المرجع نفسه . ص 284.

³- المرجع نفسه . ص 285.

و قد ظلت نظرية الحق الإلهي غير المباشر، سائدة طوال قرنين تقريبا إلا أن نفوذ الكنيسة خاصة فيما يتعلق بالشؤون الغير الدينية « بدأ يتقلص نتيجة لعدة عوامل اقتصادية و اجتماعية و فكرية ،طرأت على أوروبا في هذه الفترة¹ » و كان من دعاة هذه النظرية القديس توما الإكويني Thomas d'Aquin (1225-1274) الذي يؤمن بقداسة السلطة ، من حيث مصدرها لأنها تأتي من الله التي يريد لها لعباده. إلا أنه لا يراها مقدسة في طريقة اسنادها للحكام فهو يرى أن الحكومة تقوم قبل كل شيء لغرض أخلاقي لذا يجب أن تكون لسلطة الحاكم حدود و عليه أن يمارس سلطته وفقا للقانون . و « أن يستمد القانون سلطته من الصالح العام لا من إرادة فرد أو إرادة مجموعة من الأفراد ، و يعمل لتحقيق الصالح العام »² و هكذا يكون الشعب قد وكل إليه مهمة تنظيم حياته . و لا يقتصر الاكويني على القول بانتخاب الحاكم فقط بل يؤكد علي انتخاب من يساعد هذا الحاكم في أمور الحكم.

يظهر لنا أن الاكويني كان يبغض الحكم الاستبدادي كما جعل للشعب حق مقاومة الحاكم المستبد الظالم الذي يتجاوز حدود سلطته ، و لكن يقيد هذا الحق بشرطين:

الاول : هذا الحق لا يمارس من طرف طائفة معينة، بل ينبغي أن يمارسه مجموع الشعب.

الثاني : حق مقاومة الحاكم المستبد بشرط ألا يسبب مساوئ و أضرار تفوق مساوئ الحاكم المستبد.

من هنا يمكن القول أن البعض يرى لنظريتي الحق الإلهي المباشر و غير المباشر أهمية تاريخية لا يمكن إنكارها ، ذلك لأن هذه النظريات ظهرت في عصور كانت تختلط فيها الهيئات الدينية مع الهيئات السياسية ، و كان فيها الحكام يجمعون بين صفتي الملك و الكاهن .

¹- المرجع نفسه ، ص 288.

²- المرجع نفسه . ص 287.

المبحث الثاني: التيارات الفلسفية التي تأثر بها لوك و أهميته في حركة التنوير.

1. أهمية اسهامات "لوك" في حركة التنوير :

افتتح عصر التنوير بنشر كتاب "جون لوك" John Locke (1632-1704) "مقال في الفهم البشري" عام 1690. و من أبرز المفكرين في تلك الفترة لوك باركلي Berkeley و هيوم Hum في بريطانيا ، فولتير Voltaire و روسو Rousseau في فرنسا . اعتقدوا أن الموضوع المناسب لدراسة الجنس البشري هو الانسان لا الكون، و كانوا مناصرين للحرية الفردية و حقوق الانسان و هادمين للخرافة . بحيث « حركت الثورة الانجليزية عام 1688 فكرهم و كان تأثيرهم سببا جزئيا للثورة الأمريكية عام 1776 و الثورة الفرنسية عام 1789 »¹

إن حركة التحرير الكبرى التي عاشتها أوروبا في القرن الثامن عشر ، ما هي إلا « امتداد طبيعي لفلسفة لوك تلك الفلسفة التي كانت تقوم على احترام القيم الإنسانية و الحرية الفردية سواء في الدين أو الفكر أو السياسة »² فمن الواجب أن يستمتع كل فرد بكافة حقوقه من حق الملكية الخاصة و حق الحرية و نبذ كل تعصب .

اعتبر مؤرخو الفلسفة كتاب لوك " مقال في الفهم البشري" بمثابة أول محاولة منظمة لفهم المعرفة البشرية و تحليلها للفكر الإنساني من جهة ، و من جهة أخرى يمكن القول أن أهمية لوك لم تكن مقتصرة فقط على ميدان الفلسفة بل انتقلت إلى ميدان السياسة و التنظيم الاجتماعي.

¹- وليم كلي رايت ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، تر محمود سيد أحمد تقديم و مراجعة إمام عبد الفتاح إمام (ط1 ، بيروت :التنوير لطباعة و النشر و التوزيع 2010) ، ص31.

²- د. عزمى اسلام ، جون لوك (بدون طبعة ، القاهرة : دار الثقافة للنشر و التوزيع ، بدون تاريخ) ، ص 16.

هذه هي جذرات الأفكار الأساسية كما رصدها لوك من خلال استقراء أسس هذه الحركة و نادى بها بقوة في انجلترا في القرن السابع عشر، و كان لها تأثير مباشر في نجاح الحركات التحررية، بحيث قامت بها الملايين من الشعوب التي كانت تسخر لخدمة الاستغلال والاقطاع الاجتماعي، و الاقتصادي، و الديني فكان لها تأثير مثلا في الثورة الفرنسية خلال القرن الثامن عشر و ذلك نظرا لتأثير آراء لوك في فلاسفة التحرير الفرنسي كفولتير (1694-1778)، و مونتسكيو (1689-1755) و جون جاك روسو (1712-1778) إذ تبنى فولتير أفكار "لوك" عن الحرية و التسامح، و ظل طول حياته يهاجم كل تعصب خاصة الديني.

نجد مونتسكيو تأثر بآراء لوك فيما يتعلق بمسألة فصل السلطات مع اختلاف في التسميات و الترتيب . و أشار لوك إلى أن السلطات هي على التوالي : السلطة التشريعية و الفدرالية ثم التنفيذية، « إلا أن مونتسكيو أبدل السلطة الفدرالية بالسلطة القضائية¹ ». كما يري أن ضرورة الفصل بين السلطات هي أساس الحكم الصالح، و ضمان الحكم المستقر لأنها من أهم الأعمدة التي قامت عليها الحرية الفردية .

إن أهمية لوك و تأثيره السياسي لم يقتصر على فرنسا و لا على أوروبا فقط، بل تعدتها كذلك إلى أمريكا و يظهر ذلك في، « أهمية فكره في اعلان استقلال الولايات المتحدة الامريكية عام 1776 حينما رفضت الحكومة البريطانية الاستجابة لمتطلبات الشعب الامريكي في ممارسة حقوقه الطبيعية في الحياة و الحرية و الملكية، قام الشعب بثورة مسلحة أطاحت بتلك الحكومة و أقامت حكومة أمريكية تقر حق الشعب و تؤمن به²»، و دستور هذه الثورة قد تضمن مؤلف

¹ - د.فضل الله محمد اسماعيل، د. سعيد محمد عثمان، نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي (د ط، الإسكندرية : مكتبة بستان المعرفة للطباعة و نشر الكتب، 2006)، ص 94.

² - المرجع نفسه . ص 99.

لوك "مقاتلين في الحكومة المدنية" الذي تضمن حرية التفكير و الدين و التعبير ، الذي كان له الأثر في تشكيل حكومة مدنية سليمة .

2. أهمية أعمال "لوك" في تاريخ الفلسفة :

ترجع أهمية لوك في تاريخ الفلسفة إلى عدة اعتبارات منها :

1. نظرية المعرفة:

يعتبر لوك أول من وضع مشكلة المعرفة بمعناها المعروف لدينا الآن و هذا لا يعني أنها لم تكن سائدة في الفلسفة السابقة عنه ، إنما لا نكاد نلاحظ من قبل لوك أي محاولة جديّة لدراسة مشكلات المعرفة دراسة مستقرة منظمة و عميقة ، كما « أنه بين النقص في طريقة التفكير القديمة التي كانت تدرس و تعالج بها المشكلات الفلسفية . و تساءل عن مدى تقبل الناس لبعض الاحكام كما لو كانت شيئاً مسلماً بصحته ، مثل المبادئ الفطرية التي كانت في نظرهم واضحة بذاتها لا تحتاج إلى دليل أو برهان على صحتها¹ » .

طبق لوك الاتجاه التجريبي في الفلسفة على بحثه في نظرية المعرفة بالذات ، و قد استخدم منهجا آخر غير المنهج القياسي الذي كان سائداً في الفلسفة القديمة ، « فحاول أن يطبق في كتابه "مقالة في العقل البشري" المنهج الاستقرائي² » ، و كان هذا الأخير جديداً لأن المنهج القديم كان منهجا استنباطياً ، ثم بدأ تطبيق الرياضي في الفلسفة منذ ديكارت ، و المنهج القياسي ينتقل من الكليات إلى الجزئيات فهو هابط ، أما الاستقرائي فهو عكسه تماماً ينتقل من الجزئيات إلى الكليات، فالمنهج الأول يناسب الاتجاه العقلي الذي يضع أحكاماً أولية صادقة

¹ - د. عزمى اسلام ، جون لوك مرجع سبق ذكره . ص 19.

* المنهج الاستقرائي : منهج من مناهج البحث العلمي في العلوم السياسية حيث أنه يعتمد على الملاحظة المباشرة للواقع و الالتحام بالظاهرة السياسية و اخضاعها لتحليل الكمي و الكيفي ، و الانتقال من الخاص إلى العام كما يسعى لتفسير الدقيق للظاهرة السياسية.

² - د. عزمى اسلام ، جون لوك مرجع سبق ذكره . ص 19-20.

بذاتها بينما المنهج الثاني يناسب الاتجاه التجريبي العلمي الذي يبدأ بملاحظة الجزئيات و يستنتج منها قوانين عامة تنطبق عليها . و لا ينكر لوك بأنه تأثر بديكارت إلا أنه لم يتأثر به بدرجة كبيرة بل على العكس نجده « يعارضه في كثير من أفكاره الرئيسية في الفلسفة خاصة في نقده للمعرفة الفطرية »¹.

إذا كان التفكير العلمي الذي طغى على الفكر الانساني سببا أثر على فكر لوك و تطبيقه للمنهج الاستقرائي من جهة ، و من جهة ثانية هناك عوامل أخرى قد أثرت فيه نذكر البعض منها على سبيل المثال لا الحصر:

2. الفلسفة اليونانية :

أ. أرسطو Aristote:

تأثر لوك "بأرسطو" الذي أشار إلى أنه لا يوجد شيء في النفس أو العقل ما لم يكن من قبل موجودا في الحس. واستند إليه لوك في الكتاب الأول (مقال في الفهم البشري) في رفض الأفكار الفطرية ، فقد تأثر به كثيرا فيما يخص وظيفة العقل، فأقسام النفس عند أرسطو قسمان العقل المنفعل يتلقى الانطباعات الحسية و العقل الفعال القادر على التفكير و التذكر و التخيل. أما بالنسبة إلى لوك فوظيفة العقل كذلك في نظره قسمان :

الوظيفة الأولى سلبية فهي بمثابة العقل المنفعل عند " أرسطو " تمثل في تلقي الانطباعات من الخارج و هي كالصفحة البيضاء التي لم يكتب فيها شيئا. بينما الوظيفة الثانية إيجابية هي سبب جميع العمليات العقلية كالتفكير و التخيل و التذكر، فهي تشبه العقل الفعال عند أرسطو.²

¹- المرجع نفسه . ص25.

²- المرجع نفسه . ص21.

أما في المجال السياسي أخذ لوك عن أرسطو، في مجال تقسيم الحكومات فكرة يتلخص فحواها في أن الغاية التي توجد الحكومة من أجلها هي التي تحدد شكلها ، فقد اعتبر أرسطو أن الحكومة تشمل ستة أشكال ثلاث أشكال صالحة (الملكية ، الأرستقراطية* ، الدستورية). و ثلاث أشكال فاسدة (القلة ، الاستبدادية ، الديمقراطية) ، و لم يقتصر أرسطو على تقسيمه السداسي للحكومات بل يعتقد بوجود أشكال أخرى فأقر بوجود حكومات مختلطة تتشأ فيها النواحي الاجتماعية و السياسية والاقتصادية. و قد تأثر لوك بذلك حيث يعتقد أن الشعب هو الذي يحدد شكل الحكومة.¹

ب. أبيقور:

تأثر لوك بأبيقور كثيرا و ذلك باعتبار الاحساس هو أساس المعرفة بحيث أننا نلاحظ نفس الفكرة التي ذكرها لوك عن تكوين الافكار ، و تكاد أن تكون موجودة عند أبيقور الذي يذكر أن الإحساس يؤدي إلى تكوين الأفكار في الذهن.

ج. الرواقية stiocisme:

تأثر كذلك لوك بالفلسفة الرواقية* التي تعتبر أن المعرفة اليقينية هي المعرفة الحسية التي تتميز بالوضوح لدرجة أنهم يعتبرون الأفكار الآتية من المعرفة الحسية ، هي حقيقية و هي الدرجة الاولى من المعرفة.

*الأرستقراطية : مصطلح يوناني معناه حكم الأفضل ، أما المعنى السياسي العام يمثل الطبقة الاجتماعية النبيلة التي تتولى الحكم.

¹ - د. فضل الله محمد اسماعيل ، د. سعيد محمد عثمان، نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي ، مرجع سبق ذكره. ص 90.

** الرواقية : مدرسة أسسها زينون عام 308 ق.م استمدت اسمها من المكان الذي كان يقوم فيه زينون بالتدريس و هو (stoa) ، الرواق المنقوش ، يعتبر الرواقيون الفلسفة على أنها علم الأمور الإلهية و البشرية.

د. شيشرون Cicero :

كما تأثر لوك بالفلسفة اللاتينية خاصة شيشرون الذي كان تلميذا مخلصا للاتجاهات الحسية عند أبيقور من خلال التصور المادي للعالم الذي نادى به الرواقية . أما في المجال السياسي تأثر أيضا "لوك" بشيشرون في مجال تقسيم الحكومات حيث دافع شيشرون على فكرة الحكومة المختلطة في كتابه «الجمهورية و القوانين " فقد ذهب إلى أن أحسن دستور للدولة هو الذي يجمع الأشكال الثلاثة للحكومات (الملكية ،الأرستقراطية ، الديمقراطية) «¹.

1. الفلسفة المدرسية :

تأثر لوك بفلسفة العصور الوسطى أكثر مما سبق و السبب في ذلك يرجع إلى التعليم الذي تلقاه في "وستمنستر" و في أكسفورد الذي كان تعليما مدرسيا فقد ترك أثرا واضحا في أفكاره الفلسفية، و هذه الأخيرة معظمها مأخوذة من الفلسفة المدرسية* حيث أخذ منها منطقتها و جوهرها، و أعراضها، و ماهياتها، و أجناسها و أنواعها، جزئياتها و كلياتها. و يبدو الأثر واضحا أيضا في الميتافيزيقا فيما يتعلق بفكرة الله، و صلته بالعالم و كذلك فكرة الانسان ووجوده لكن لوك خرج عن الفلسفة المدرسية و هذا لا يعني أنه لم يتأثر بها على الإطلاق لذلك بدأ يبني فلسفته على التراث الفكري الذي تعلمه من قبل و كان في الأساس تراثا مدرسيا².

¹- د. فضل الله محمد اسماعيل ، د. سعيد محمد عثمان، نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي ، مرجع سبق ذكره. ص91.

*الفلسفة المدرسية : هي فلسفة يحاول أتباعها تقديم برهان نظري للنظرة العامة الدينية للعالم بالاعتماد على الأفكار الفلسفية لأرسطو و افلاطون .

²- د.عزمي إسلام، جون لوك ، مرجع سبق ذكره ص 23.

المبحث الثالث : فلسفة "لوك".

1. المنهج التجريبي :

يعتبر لوك أهم ممثل للاتجاه التجريبي في الفلسفة في القرن السابع عشر، توصل في تحليله للمعرفة بالقول بأن التجربة الحسية هي أساس كل معرفة حسية في العقل و أرجع كل تجربة حسية إلى الإحساس فهو مبدأ المعرفة.

رفض لوك و الفلاسفة التجريبيون بوجود حقائق نهائية سواء في العلم أو السياسة أو الحياة الإنسانية، لأن أي حقيقة ليست في نظرهم أكثر من مجرد احتمال يمكن أن يتغير إذا ظهرت وقائع جديدة تغير في معتقدتهم القديم، و إذا طبقنا المذهب التجريبي على الفلسفة السياسية سوف يتبين لنا أن الحقيقة قابلة للتغير حسب الملاحظة العلمية و بالتالي لا يرى الفيلسوف السياسي اختلاف الرأي شيئاً مثيراً للعداء بما أن الحقيقة يمكن أن تختلف دائماً حسب التجارب التي يمر بها الإنسان ، و قد يكون للرأي المعارض قيمته و مبرراته حسب ما تؤول إليه تجاربه « و بناء على ذلك ارتبطت النزعة التجريبية بالدعوة إلى حرية التعبير عن الرأي و يعد "لوك" مؤسس المذهب التجريبي ليس في نظرية المعرفة فقط بل في الفلسفة السياسية أيضاً¹»، فهو مؤسس المذهب الليبرالي ، و الديمقراطي في الفلسفة السياسية و كان من أهم دعائم الثورة على الحكم التعسفي و السلطة المطلقة للملوك و الكنيسة ، و أكبر المدافعين عن الحرية السياسية و الاقتصادية مقابل الحكم الإقطاعي و أيضاً من أبرز المدافعين عن التسامح الديني.

¹ - د. أميرة حلمي مطر ، في الفلسفة السياسية (د ط، القاهرة : دار الثقافة للنشر و التوزيع ، بدون تاريخ) ، ص 99.

2. أهم مؤلفاته :

إضافة إلى ما ذكرناه فلوك يعد رائدا للحرية و الليبرالية و يظهر ذلك فيما جسده في مؤلفاته إذ أن كتابه في "الحكم المدني" جسده فيه الحرية السياسية ، و في كتابه "رسالة التسامح" تضمن حرية الاعتقاد ، و كذلك كتابه " بعض الاعتبارات حول انخفاض الفائدة و رفع قيمة النقود " الذي جسده فيه كذلك الحرية الاقتصادية . و لعل « كل هذه الأعمال جاءت فحفا تعليميا لمبدأ و هو الحرية البشرية ¹ »، وقد أعقبها بكتاب "بعض الأفكار حول التربية " و هو جزء من المنظومة الليبرالية في حيز التربية.

كما أن الصفة العامة لفكر "لوك" هي العلمانية بحيث أن الحكومة لا تتعلق إلا بالمصالح المدنية و أقر بالفصل بين الروحي و الزمني ، و يمكننا القول أن دولة لوك كانت علمانية ليبرالية .

3. فلسفة الاخلاق عند "لوك" :

يرى لوك أن الأخلاق علم يمكن اثباته شأنه شأن الرياضيات ، لأن الافكار الأخلاقية هي من اختراع العقل البشري و ليس نسخا من عناصر الطبيعة المختلفة ، باعتبار أن القيم الأخلاقية « تصاغ في صورة كلمات هي أيضا من اختراع العقل البشري » ² فبمقدور الإنسان أن يتوصل إليها و أن يفهمها إذا كلف نفسه العناء ، و يمكن أن يتوصل إلى معرفة مؤكدة و هي وجود إله قادر أن يفرض قانون يضبط أفعال الانسان و يعاقب أولئك الذين ينتهكونه ، و هذا كله الا اذا كلفوا أنفسهم عناء التفكير في هذه المسألة و هذا الإله يبصر الناس في الظلام و يرتب لهم الثواب و العقاب و يحاسب المذنبين ، « كما منح الله تعالى الإنسان الأمانة الكبرى و هو العقل الذي يستطيع بمقتضاه أن يتعرف بالبرهان على الحقائق

¹ - د . علي محمود المحمداوي ، الفلسفة السياسية كشف لما هو كائن و خوض في ما ينبغي للعيش معا (ط1 ، لبنان : مكتبة مؤمن قريش ، 2015) ، ص 138.

² - جون دن ، جون لوك مقدمة قصيرة جدا، تر فايفة جرجس حنا و مراجعة هبة عبد المولى (ط1 ، القاهرة : مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة 2016) ، ص 83.

الأخلاقية التي يجب أن يهتدي بها فضلا عن ما تضمنه الكتاب المقدس من تعاليم و مبادئ أخلاقية تنظم سلوكه ، و ترسم له طريق السعادة في الدنيا و الآخرة ¹ .

و السعادة الروحية لا تتحقق إلا بالخضوع التام الذي يمليه العقل من طاعة القانون الإلهي الذي وضعه الله للإنسان بإرادة الله هي الأساس الراسخ للأخلاق .

إضافة لذلك أكد لوك أن الله أعطى للأفراد الشعور بحب الذات ، و ممارسة العقل مع هذا الشعور يؤدي الى خلق قيم معنوية و أخلاقية، و عليه فإن الإنسان مدفوع باللذة و الألم فهو يبتعد عن كل ما يؤلمه و يقترب إلى ما يزيد من فرص سعادته و لذته ، و عن طريق هذا الشعور يعرف كيف يحترم حقوق الآخرين ، و ذلك ليس لأنه ولد بمعنويات واضحة بل يستنتج ذلك عن طريق التجربة ، فما قد يلحقه من أذى بالآخرين ، يمكن أن يؤدي بهؤلاء إلى أن يلحقوا به الأذى مما يقلل من لذته و سعادته .

و قد وضع مصادر اللذة الدائمة و أكثرها ديمومة في الحياة و هي : « الصحة ، السمعة الطيبة ، المعرفة ، العمل الصالح أو الخير فضلا عن توقع سعادة أبدية في عالم آخر ² » و وضح لوك أنه لا يوجد تعارض بين مفاهيم الإنجيل و مفاهيمه حيث أنها جميعا تحقق السعادة ، و نفس تعاليم المسيحية ترشد الفرد نحو الطريق الصحيح ، فطاعة ما جاء به المسيح يؤدي إلى زيادة سعادة و رضى الأفراد . و لم يركز لوك على الدين إلا بقدر نفعيته للأفراد فهم جميعا يتميزون برغبة أصيلة و هي حب الذات.

¹ - د. ابراهيم مصطفى ابراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكرت إلى هيوم (د ط، دار المعرفة الجامعية ، 2001) ، ج 1 . ص 271.

² - د. حورية توفيق مجاهد ، الفكر السياسي من افلاطون إلى محمد عبده (ط 2 ، مكتبة الأنجلومصرية ، بدون تاريخ) ، 386.

4. فكرة الله عند "لوك" :

يرى لوك أن معرفتنا لله هي عبارة عن معرفة برهانية تعتمد على مبدأ العلية ذلك أن وجود الإنسان يستلزم موجودا عاقلا كلي القدرة أكثر منه قوة و معرفة و علم، و نحن نعلم أن لوك اعتقد أنه لا يوجد شيء لا يمكن معرفته إلا من خلال الإحساس ، إلا أنه استثنى من ذلك وجود الله ، و إدراكنا لفكرة الله يقينية « بالرغم من أنها لا ترجع إلى أي انطباعات فطرية في العقل.

لأن الله و هبنا من القدرات العقلية ما يؤهلنا لإدراكه إدراكا واضحا ، ما دام فينا إحساس و إدراك و عقل «¹ فهي بمثابة شواهد فينا تؤكد على وجوده و لا نشكو جهلنا لعدم وجوده طالما كنا مزودين بالوسائل التي تساعدنا على اكتشافه و معرفته ، بحيث لا يمكن أن يكون هناك شيء من لا شيء ، أي لا يمكن للعدم أن يخلق أو ينتج شيء أو وجود واقعي فلا بد من وجود شيء من الأزل سابق على الموجودات .

و الله يمثل ذلك الأزل و هو أعلم و أكثرهم معرفة لأن من المستحيل تصور الأشياء الخالية من أي معرفة أو حكمة تنتج العاقل أما عن صفات الله فيرى لوك أننا لا نستطيع مجرد الأمل في معرفته كاملا كما هو كائن فعلا لكننا نكون فكرة عنه فحسب كفكرة مركبة مثل جميع الأفكار المركبة ، و نحن نتصور في الله جميع صفات الكمال و الخير باعتباره إلها لا متناهيا خالدا تكمن فيه القدرة الكلية .

أما فيما يخص معرفة الاعتقاد الناشئ عن الإيمان فهذه معرفة دينية لا يمكن البرهنة على هذا النوع من المعرفة لأنها تفوق مدركاتنا و حواسنا لكننا نتمسك به بشدة لأنه يعتبر سرا من أسرار

¹ - د. عزمى اسلام ، جون لوك ، مرجع سبق ذكره . ص 208.

الإيمان « فهذا النوع من المعارف الاعتقادية تصلنا من الأديان و الكتب المقدسة المرسلة إلينا من رب العالمين ، و كان من الطبيعي أن يسلم بها لوك تسليما بسبب عجزه عن البرهنة عليها فالعقل قاصر عن بلوغ ماهية الاعتقادات الدينية »¹ .

¹- د. ابراهيم مصطفى ابراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، مرجع سبق ذكره . ص 261.

الفصل الثاني : التأسيس المعرفي للتسامح الديني عند "لوك".

المبحث الأول : الليبرالية عند "لوك" .

المبحث الثاني : مفهوم التسامح الديني.

المبحث الثالث : التسامح الديني عند "لوك".

المبحث الأول : الليبرالية عند لوك.

1. الطبيعة البشرية و حالة الطبيعة :

إن المجتمعات القديمة عاشت في الحالة الطبيعية، فالحياة الطبيعية هي حياة يسودها السلام و لا ينظمها حكم، و يعمل كل إنسان على هواه في حدود النفع العام. دون أن يسودهم نظام أو قانون. و النظام غير الحكومي يسود داخل الأسر أما القانون غير المكتوب فقد سموه قانون الطبيعة.

في العصور الوسطى جاء القديس توما الإكويني الذي أخضع الفلسفة للدين و قال: « كل قانون يصنعه الإنسان لابد أن يكون له صفة القانون إلا بالقدر الذي يستمد من قانون الطبيعة فإذا هو تعارض معه في أي نقطة لم تعد له صفة القانون »¹ . و نفهم من هذا القول أن كل قانون يضعه الفرد يجب أن تكون مرجعيته القانون الطبيعي ، الذي يعرف من خلال العقل فهو متعلق بتحديد مقياس الخير و الشر ، و العدل و الظلم . أي يجب أن يعمل بمقتضاه جميع الأفراد، و يمكن اعتباره انعكاس لحكمة الله و هو « يتجلى في ما تغرسه الطبيعة في الكائنات الحية من ميل نحو الخير و فعله. و تجنب الشر و حماية النفس ، و تحقيق الحياة المتزنة² » .

في القرنين السابع عشر و الثامن عشر اشتهرت الثورة الفرنسية 1789م بأنها الثورة الكبرى في العصر الحديث لنيل الحرية ، و كانت رد فعل عن النظام الإقطاعي و الحكم المطلق و هي أول حركة فريدة في التاريخ اشتملت تغييرا في المجال الاجتماعي و السياسي إضافة إلى انبثاق العنصر القومي» و لم تعد مجرد ثورة لصالح الشعب الفرنسي بل هي ثورة لصالح الإنسانية

¹ - فضل الله محمد اسماعيل ، د. سعيد محمد عثمان ، نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي ، مرجع سبق ذكره . ص 08.

² - د. علي عبود المحمداوي ، الفلسفة السياسية كشف لما هو كائن و خوض في ما ينبغي للعيش معا ، مرجع سبق ذكره. ص 92.

و حريتها تشمل حق الشعب في إبداء رأيه في القوانين ، و حرية التعبير و التفكير و ممارسة العقيدة التي يقتنع بها ¹ . و قد حملت هذه الثورة في طياتها مبادئ و قواعد أساسية في كيفية إرساء الحكم . كما كانت الثورة الإنجليزية 1688م التي قامت قبلها هي الأخرى دافعا عن الحرية ، حرية الحكم و سيادة الشعوب في أوطانها ، أشد الثورات اعتدالا و أكثرها نجاحا و كان من رجال الفكر إبان هذه الثورة الفيلسوف "جون لوك" الذي جسد معالمها بإخلاص واضح ، و ما كادت الثورة الإنجليزية تنتهي حتى نشر رسالتين و كلاهما في الحكم و الحكومات.²

بدأ "لوك" بالبحث فيما سماه بحالة الطبيعة السابقة على كل حكومة أو سلطة زمنية لكي يبين منشأ السلطة فالناس يولدون أحرارا ، يحكمهم القانون الطبيعي الذي يضمن بقاء الإنسان و سيادة السلام بين الناس .

إن حالة الطبيعة عند لوك ليست نزاعا مستمرا و خوفا أبديا كما هو الشأن عند هوبز بل هي حالة استقرار و انسجام بين الحقوق و الواجبات ، وينظمها قانون أسمى و هو قانون الطبيعة. بناء على هذا أتاحت الطبيعة للفرد سلطتين أساسيتين و هما :

1. «الحق في الحفاظ على بقائه و بقاء الآخرين .

2. الحق في إلقاء العقوبة على من اعتدى على القانون. ³ .

و من هنا يجب ألا يضطر كل واحد أن يضر الآخر في حياته ، و صحته ، و حرياته و ممتلكاته لأن الناس جميعا رعية حاكم واحد و كل من يخالف قانون الطبيعة فإنه سيخضع للعقاب.

¹- د. فضل الله محمد اسماعيل ، د. سعيد محمد عثمان ، نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي ، مرجع سبق ذكره. ص 31.

²- المرجع نفسه ، ص 08.

³- د. أميرة حلمي مطر ، في الفلسفة السياسية ، مرجع سبق ذكره . ص 101.

و يقول لوك في هذا الصدد : « لكي نستطيع أن نمنع الناس من الاعتداء على حقوق الآخرين و إلحاق الضرر فيما بينهم ، و لكي نحترم الحق الطبيعي الذي يحافظ على سلامة و بقاء الإنسان ، على كل واحد في هذه الحالة أن يضمن تطبيق القانون الطبيعي ، و كل واحد يمتلك الحق في إلقاء العقوبة على كل من يخرق هذا القانون بطرق كافية لتقاضي اعتداءات أخرى »¹. إن تنفيذ قانون الطبيعة يصبح بهذه الطريقة في يد كل انسان ، إذ يمتلك حق معاقبة كل من خرق القانون الطبيعي.

لقد أعطى لوك أهمية خاصة لحق التملك و اعتبر أن أهم مهمة للحكومة هي حمايته باعتبار أن حق الملكية سابق على وجود المجتمع المدني ، و ليس نتاجا له و بالتالي فهو حقا طبيعيا و هبه الله للفرد لخير البشرية و رفاهيتها.

و تناول لوك نشأة الملكية الخاصة موضحا أن أصلها هو الملكية المشاعة سواء بالنسبة للأرض و كل ما عليها من ثمار ، و ثروات حيوانية و غيرها و على الفرد أن يستخدم هذه الملكية و يتمتع بها لكن دون تدمير و إفساد ، لأن ذلك يعتبر خرقا للقانون الطبيعي إذ يمكن معاقبته و أخذها منه لأن الله قد أعطى العقل للناس ليستخدموه أحسن استخدام لصالح الحياة و من أجل المنفعة و الراحة.²

و حالة الطبيعة كما أوضحها لوك تحكمها قوانين الطبيعة و هي عبارة عن مبادئ التصرف الصحيح و قد أشار إليها أحيانا على أنها قوانين العقل التي لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريقه، تأكيدا على أهمية العقل في استيعابها و الالتزام بها .و هي تقيد الأفراد لسببين :
أولا: أنها نابعة من إرادة الله و ثانيا: لأنها تمثل جزء من طبيعة الفرد الأصلية.³

1-J.LOCK , Deux traités du gouvernement , trad. et Présentation Bernard Gilson (Paris : Librairie Philosophique 1997) , P141.

2- د-حورية توفيق مجاهد، الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده ، مرجع سبق ذكره. ص 387

3- المرجع نفسه ، ص 383.

إن القانون الطبيعي في نظره قاعدة موضوعية صحيحة و مقياسا نابعا من الله، يمكن التيقن منه بواسطة العقل بحيث يمثل اختبارا و معيارا و يمكن عن طريقه تحديد المؤسسات السياسية و الحكم عليها. و هو سابق عن القوانين الوضعية التي تضعها الدولة الذي يعتبر أساسيا أكثر منها ، و قوانين الطبيعة تقيد الأفراد بالطاعة للحكومات العادلة بمجرد قيامها بواسطة الموافقة . و الفرد عند لوك يشبه الفرد عند هوبز فهو كائن رشيد و عاقل ، لكن الاختلاف بينهما قائم على تفسير ماهية الرشد و العقل ، في الوقت الذي يرى فيه هوبز أن الفرد يستخدم كافة إمكانيته و طاقاته في تحقيق مصالحه و على رأسها حماية حياته ، فإن لوك يرى الفرد على أنه رشيد و أناني ، و رشده هذا يجبره على ألا يدفع بكل طاقاته و رغباته ، بل من الضروري احترام حقوق الغير لكي لا يتعدى عليه.¹

كما نجد الفيلسوف الفرنسي "جون جاك روسو" الذي وصف الحالة الطبيعية بالبساطة و الصفاء و المحبة و يوضح لنا « أن الناس إذا عاشوا على الطبيعة تجاوزت عواطفهم و تحابت قلوبهم و تعاونوا على البر فازدهرت حياتهم ، و انتعشت أمالهم »². فهو يصف بذلك حالة الطبيعة على أنها حسنة تتصف بالمساواة و الحرية ، و التآلف بين الأفراد كون الإنسان الأول خير بطبعه ما يؤدي به إلى نشر السعادة و الهناء بين البشر . فكل انسان يسعى إلى جلب ما هو خير للمجتمع و إرساء دعائم الإخاء بين الناس.

لكن لسوء الحظ لا يمكن للحالة الطبيعية أن تشهد سلام دائم لأنها عرضة للفساد، و بالتالي يتعرض هذا السلام للأخطار، لأن هذه الحالة عاجزة عن تلبية ثلاث مطالب رئيسية:

« أولا : الحاجة إلى قانون موضوع قائم مستمر ، واضح غاية الوضوح.

ثانيا : الحاجة إلى سلطة يلجأ إليها الناس ليحسم النزاع بعدالة و نزاهة.

¹ - المرجع نفسه ص 383.

² - د.محمد فتحي الشنيطي ، الفلسفة السياسية (ط1 ، الإسكندرية : دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، 2010) ص 81.

ثالثا : الحاجة إلى سلطة منفذة ¹ .

و لهذا يتطلع الناس الى حالة أفضل لكي يضمنوا حرياتهم و حقوقهم التي كانوا يتمتعون بها في الحالة الطبيعية، و تجنب الاعتداءات و النزاعات التي يمكن الوقوع فيها. وذلك عن طريق التعاقد فيما بينهم من أجل إقامة سلطة تقيم العدل و التنظيم. إذن لابد من الانتقال من الحالة الطبيعية إلى المجتمع المدني فكيف ذلك ؟.

2. نظرية العقد الاجتماعي و سمات الدولة :

يرى "لوك" أن العقد الاجتماعي يؤدي إلى خلق جماعة أو هيئة تتمسك بزمam الأمور و هي الحكومة ، و هذا حينما تنتهي الحالة الطبيعية ، فالمجتمع هو الأكثر أهمية عن الحكومة و زوال الحكومة لا يعني زوال المجتمع ، باعتبار هذا الأخير أكثر ديمومة .

إن فكرة الديمقراطية* في فكر لوك تظهر جليا و بوضوح في طريقة اختيار الحكومة ، إذ يؤمن لوك بنظام الحكم الذي ينبنى على أساس موافقة الشعب أو أغلبيته على تعيين الحكومة.

و يظهر ذلك في قوله: « و لذلك فعلى هؤلاء الذين نبذوا حال الطبيعة و اتحدوا في الجماعة، أن يبذلوا كل ما في وسعهم لتحقيق الغرض الذي انخرطوا من أجله في هذا المجتمع ، فيمنح كل السلطة لأغلبية الجماعة ... »². و على هذا النحو نفهم أن قيام و تعيين الحكومة يقتضي على الأقل الحصول على موافقة الأغلبية و الشعب هو صاحب الكلمة العليا في المجتمع و له الحق في تعيين الحكومة و تغييرها.

¹-المرجع نفسه ، ص57.

*الديمقراطية: هي نظام سياسي يمارس فيه الشعب السيادة عن طريق الاقتراع العام تعبير عن الإرادة العامة و نقيضها الاستبداد.

²- جون لوك ، الحكومة المدنية ، تر محمود شوقي الكيال (د ط ، القاهرة : دار القومية لطباعة و النشر ، بدون

تاريخ).ص85.

• مفهوم الحكومة عند "لوك" :

الحكومة عند لوك هي « تلك الهيئة التي تتولى تحقيق الأمن و السلام للمجتمع ، و هي التي تعمل على تحقيق الغايات التي أقيم من أجلها هذا المجتمع »¹ و تتمثل هذه الغايات في حماية الحقوق الطبيعية للأفراد بحيث تسهر على حمايتهم ضد أي اعتداء خارجي ، و تعمل على تحقيق المساواة بين مصالحهم. فالمجتمع سابق عن الحكومة و هذه الأخيرة من واجبها سن القوانين التي تحافظ على حقوق الشعب الذي اختارها، و ما يقتضيه ذلك من فرض عقوبات على كل من خرج عن القوانين أو الإضرار بمصالح الشعب .

و الدولة حسب رأي لوك هي مجتمع من الناس قائم لغرض واحد و هو الحفاظ على المصالح المدنية ، و هذه المصالح تتضمن حق الحياة ، الحرية ، الصحة ، و على الحاكم المدني أن يقوم بتطبيق قوانين منصفة على كل الشعب دون استثناء .²

و فكرة العقد الاجتماعي تعني « تعاقدًا يظم طرفين هما الشعب و الحكومة أو الملك ، و لا يصبح العقد لاغيا إلا إذا أخل أي طرف منهما بالتعاقد ، فإذا حدث و أهمل الملك في مسؤولياته اتجاه الشعب تعين عزله »³ . و هذا يعني تنازل الأفراد لحق من حقوقهم الطبيعية إلى المجتمع ككل ، و عقاب كل من يخرج عن هذا القانون و ذلك يقتضي موافقة أغلبية الشعب.

لقد أعطى لوك بنظريته في العقد الاجتماعي الكلمة العليا لشعب مما ينتج عنه أمور ثلاثة مهمة هي :

¹ - د. فضل محمد اسماعيل ، رواد الفكر السياسي الغربي الحديث (د ط، الاسكندرية : دار الجامعة الجديدة 2008) ، ص 34.

² - John lock , œuvres diverses de monsieur jean lock , trad. Gean le clerc(bibliothèque Angelica Rome : chez Fritsch et bohms 1710) , p 14.

³ - د. ابراهيم مصطفى ابراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، مرجع سبق ذكره . ص 264.

- أ- حق الأغلبية، سوف يمثل القاعدة الأساسية في المجتمع و مصدر السلطة التشريعية أو التنفيذية، مما يتحتم عليه إخضاع الأغلبية للإرادة العامة.
- ب- تقييد سلطة الحاكم بقيدين هما تنفيذ نصوص القانون المراعي فيها الحقوق الطبيعية و الالتزام بالعقد الاجتماعي الممثل للطرف الثاني .
- ج- إن أي إخلال للحاكم سواء كان ملكا أو غيره بالمسؤولية و تعديه لحدوده المخولة له من قبل الشعب يستوجب الثورة عليه و اختيار من يحل محله في الحكم¹.

و فكرة العقد الاجتماعي قد تناولها فلاسفة العصر الحديث أمثال هوبز الذي اعتبر أن الناس قد سئموا حالة النزاع و الصراع ، فاجتمعوا و اتحدوا في جماعة من أجل تنظيم حياتهم و ذلك بتنازلهم عن كامل حقوقهم و لهذا انتقلوا من الحالة الطبيعية إلى المجتمع المدني، و يقول "هوبز" في هذا الصدد أن : « هذا التنازل يكون لرجل واحد يملك كل الحقوق ، و لا يترتب عليه ، إلا واجب واحد و هو صيانة الأمن² » فالعقد الاجتماعي عند هوبز هو أكثر مما يكون قبولا و تنازلا ، إنما هو وحدة حقيقية تجمع الأفراد كلهم في شخص واحد يطلق عليه اسم الدولة أو المجتمع المدني و قد جعله تبريرا للحكم الملكي المطلق.

بينما روسو يرى أن العقد الاجتماعي أقيم بين أفراد متساوين دون أن يتنازلوا عما يتمتعون من حقوق و حرية ، و هذا التنازل يجب أن يكون متعادلا بين جميع الأفراد لتحقيق مبدأ المساواة فغاية هذا العقد هو تحقيق السعادة و الرفاهية للأفراد، و يشترط ذلك أن يكون عن طريق التراضي لكي يتمكن الناس من مواجهة صعوبات الحياة و النهوض بمجتمع متطور .

¹ - د. ابراهيم مصطفى ابراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، مرجع سبق ذكره .ص 264-265.

² - د. فضل الله محمد اسماعيل ، رواد الفكر السياسي الغربي الحديث ، مرجع سبق ذكره . ص 16.

3. أشكال الحكومات :

يحدد لوك أشكال الحكومات وفقا لمركز السلطة التشريعية فيها ، فإذا كان المجتمع ككل يحتفظ بيده بوظيفة وضع القانون و يكتبه فقط بتعيين حاكم أو هيئة حاكمة لتنفيذ القانون ، فإن الحكومة تكون ديمقراطية .

إذا وافقت أغلبية المجتمع عن طريق الانتخاب على اختيار هيئة حاكمة فإن شكل الحكومة يكون أوليغاركيا.¹

أما إذا وافقت الأغلبية على تعيين حاكم واحد أو ملك فإن شكل الحكومة يكون موناركيا .²

يرى لوك أن هذه الأنظمة يجب أن تعتمد على موافقة الشعب ، باعتباره صاحب الكلمة العليا في البلاد ، و إلا ستفقد هذه الأنظمة (الديمقراطية ، الموناركي ، الاوليغاركي) شرعيتها.

4. الفصل بين السلطات :

قسم لوك الحكومة إلى قوات مختلفة :

السلطة التشريعية ، و هي أعلى السلطات في الدولة عند لوك ، يجب أن تفصل في كل ما ينشأ من خلاف و نزاع ، فقد أصبحت الجماعة تباشر هذه السلطة في صورة قوانين .

و السلطة التنفيذية، تسهر على تنفيذ القوانين في الداخل و العمل على احترامها. أما السلطة التعاهدية تختص بالمسائل الخارجية كعقد الاتفاقيات و اعلان الحرب ، و تقرير السلام .³

اعتبر لوك أن السلطة التشريعية هي بمثابة الروح التي تمنح الحياة و ووحدة الدولة و لذلك فلا يجب أن تغتصب ممن أعطيت لهم ، و هي تمثل إرادة الشعب .

¹- المرجع نفسه ، ص 34-35.

²- المرجع نفسه ، ص 35.

³- المرجع نفسه ، ص 35-36.

- و قد نادى لوك بسيادتها ووضع السلطة التنفيذية في المرتبة الثانية ، و أوجب السلطة التشريعية الالتزام بمبادئ معينة ينبغي لها احترامها و هي :
- تشريع القوانين ، يجب أن يكون لصالح الجميع دون تعسف.
 - ضرورة تطبيق القوانين على الجميع دون تمييز ، بغض النظر عن طبيعة من تطبق عليهم هذه القوانين .
 - لا يحل للسلطة التشريعية أن تفرض ضرائب بدون موافقة الشعب ، لأنه صاحب السلطة في الدولة.
 - لا يحق للسلطة التشريعية أن تتنازل عن حق تشريع القوانين لأنها هي السلطة المكلفة بذلك.¹

و جون لوك يري أن مهام السلطة التشريعية هو وضع قوانين تحافظ على الحقوق الطبيعية للمجتمع و لذلك يجب أن تعمل لصالح العام ، و أن تكون موضع ثقة لكي يحترمها الشعب و يقبل ما تفرضه من عقوبات و ما تشرعه من قوانين .

5. الاغتصاب و الاستبداد و حق المقاومة:

الاغتصاب يعني « الحصول الغير القانوني بواسطة شخص على منصب معطى من جانب الشعب لشخص آخر. و حتى يمكن تفادي التحلل و الفوضى يجب أن تكون هناك مجموعة قواعد تحدد من الذي يشغل المنصب . و الاغتصاب هو خرق لهذه القواعد² .»

¹- المرجع نفسه ، ص 37.

²- د. حورية توفيق مجاهد ، الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده ، مرجع سبق ذكره . ص 401.

أما الاستبداد فهو « ممارسة القوة التي لا يمكن لأحد أن يكون له حق فيها أي التي تتخطى حدود القانون الطبيعي أو القوانين الموجودة في الدولة. فالمستبد يحكم لمصلحته بدلا من مصلحة الشعب ووفقا لأهوائه »¹.

فإن استخدم الحاكم أو المسؤول قوته من أجل تحقيق أهداف غير قانونية ، فيكون بذلك قد تجاوز الحدود القانونية لسلطته ، و يجوز للمواطن حق المقاومة و هو حق مقاومة أي قوة غير عادلة.

الحاكم الدكتاتوري المتمرد ، الخارج عن القانون من حق الشعب أن يثور ضده لاستخدامه لقوته بلا شرعية .

و هناك أسباب عديدة تمنح للشعب الحق في القيام بالثورة أهمها:

- تغيير مركز السلطة التشريعية ، فعندما يأخذ فرد أو أكثر على عاتقه أن يطيع قوانين بدون تكليف من الشعب فإنه يسن قوانين لا سلطة له في سنها، و من ثم فالناس لا يكونون ملزمون بطاعتها و لذا يكون لشعب الحق أن يقاوم السلطة الحاكمة و يخلعها و يقوم مشرعا جديدا كما يتراءى له .
- إذا استبدت السلطة و جنحت إلى الحكم المطلق .
- إذا حاولت السلطة التنفيذية منع السلطة التشريعية من الاجتماع أو تغيير طريقة الانتخابات.
- إذا تدخلت السلطة الحاكمة في حياة الناس و ممتلكاتهم.²

¹- المرجع نفسه ، ص 401.

²- فضل الله محمد اسماعيل ، رواد الفكر السياسي الغربي الحديث ، مرجع سبق ذكره . ص 39-40.

أما فيما يخص العلاقة بين الدين و الدولة ، فلوك لم يكن متطرفا مثل هوبز الذي قام بإخضاع الكنيسة للدولة ، بل فصل بينهما و بين سلطتهما فهو « يعلن أن كل السلطات في الحكومة المدنية لا تتعلق إلا بالمصالح المدنية فإن الآراء الدينية تتمتع بحق مطلق و بالمسامحة »¹. و إن كان لوك قد استثنى الكاثوليك في رسالته فتلك تمثل نقطة انطلاق يبدأ منها لوك في المساواة و الحرية. و هذا ما سنعرضه لاحقا.

¹- د. علي عبود المحمداوي ، الفلسفة السياسية كشف لما هو كائن و خوض في ما ينبغي للعيش معا ، مرجع سبق ذكره .ص 146.

المبحث الثاني: مفهوم و نشأة التسامح الديني.

1. مفهوم فكرة التسامح :

كلمة "التسامح" في اللغة العربية مشتقة من سمح ، كما تعني التساهل في خلاف من الخلافات و التنازل لشخص من الأشخاص كتعبير عن التهذيب.¹

أما التسامح السياسي، يقتضي ضمان الحريات السياسية الفردية و الجماعية مع نهج مبدأ الديمقراطية.

بالنسبة للتسامح الفكري يعني عدم التعصب للأفكار، و احترام أدب الحوار و التخاطب مع الحق في الإبداع و الاجتهاد.

و التسامح العرقي يقتضي نبذ الميز العنصري، و عدم التفريق بين الناس على أساس اللون أو الدين أو الجنس أو اللغة.

كما يعتبر التسامح « استعداد عقلي ، أو قاعدة مسلكية قوامها حرية التعبير عن الرأي لكل فرد حتى و إن كنا لا نشاطره رأيه ».² و التسامح عند علماء اللاهوت هو « الصفح عن مخالفة المرء لتعاليم الدين »³.

التسامح الديني يمثل «إجازة العقائد و الطقوس التي تخالف العقائد و الطقوس المألوفة»⁴ فهو الاعتبار و الاحترام الذي يجب أن نظهرهما اتجاه المذاهب التي تتناقض و تختلف عن مذاهبنا باعتبار التسامح مبدأ أساسي لتحقيق التعايش السلمي بين مختلف المجتمعات.

¹ -سمير الخليل و آخرون،التسامح بين شرق و غرب، تر ابراهيم العريس (ط1 ، بيروت : دار الساقى ، 1996)، ص10.

² -أندرية لاند ، موسوعة لاند الفلسفية ، مرجع سبق ذكره ص1460.

³ -د . جميل صليبا ، المعجم الفلسفي (د ط ، بيروت : دار الكتاب اللبناني 1982) ، ج.1 ص 271.

⁴ -د. محمد بن أحمد مفتي ، نقد التسامح الليبرالي (د ط، مركز البحوث و الدراسات 1431 هـ) ، ص 10

هناك اختلاف بين اللامبالاة و التسامح، اللامبالاة تعني « انعدام الشعور اتجاه أمر ما »¹. و هذا لا يعتبر تسامحا ، و قد كان هوبز لامباليا دينيا « إلا أنه كان مناوئا للتسامح الديني في حين أن "جون لوك" كان يحمل اعتقادا دينيا قويا و كان مؤيدا للتسامح الديني² » ، و هناك اختلاف بين التسامح القوي الذي يتمثل في تفهم المرء و احترام الآراء المختلفة . و التسامح الضعيف الذي يتمثل في اللامبالاة لمختلف الآراء و السلوكات .

ينبغي التفرقة أيضا بين التساهل و التسامح ، و التساهل يعني أن « تترك الآخرين لشأنهم من دون الاكتراث لهم أو الاهتمام بهم ، فهذا الشكل من التعامل ضرب من ضروب التملص و الهروب من الآخر »³ . فيرى الانسان نفسه أنه لا يستطيع فعل أي شيء للآخر و رأيه لا يفيد أحد و لا يرى إمكانية للحوار .

أما التسامح يعني التعايش على شكل مختلف بممارسة حق التعبير عن الرأي ، حق الاعتقاد حق المشاركة السياسية و هي الحقوق و الحريات الأساسية بعد حق الحياة و العيش بسلام و هي المبدأ الأساسي لفكرة حقوق الانسان « التي تطورت منذ الثورة الفرنسية عام 1789م و قبلها الدستور الامريكي 1776 م و ذلك بتأكيد حق كل فرد بأن لا يكون هناك قيد على حريته إذا احترم حريات الآخرين و حقوقهم و لم يعتدي عليها⁴ » . و قبول التعايش هي فكرة أخلاقية ذات بعد سياسي و فكري إزاء المعتقدات و الأفعال و الممارسات عكس التعصب و العنف و محاولة فرض الرأي الذي يعبر عنه اللاتسامح.

1- المرجع نفسه ، ص12.

2- المرجع نفسه ، ص 13.

3- د. علي عبود المحمداوي ، خطاب الهويات الحضارية من الصدام إلى التسامح (ط1 ، بيروت : ابن النديم للنشر

و التوزيع 2012) ، ص 163.

4- د. عبد الحسين شعبان ، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي (ط2 ، العراق : آراس للطباعة و النشر 2011) ، ص

2. نشأة التسامح الديني:

التسامح اصطلاح يعود الى تطور الفلسفة الغربية في القرنين السابع عشر خصوصا ما سمي بفلسفة التنوير، و ذلك خاصة بعد بروز النزعة الإنسانية المعتمدة على العقل في مواجهة اللاهوت و الغيبيات و قد راج هذا المصطلح في السنوات الأخيرة» و خصص اليونسكو يوم 16 نوفمبر من كل عام يوما للتسامح على المستوى العالمي منذ عام 1995 م¹.

نشأ التسامح الديني على أنقاض الحروب الدينية في أوروبا بين الكاثوليك و البروتستانت و قد انتهى الأمر بتساهل الكاثوليك* مع البروتستانت* ، وفي آخر المطاف صار التسامح ينتشر عند جميع الديانات و المعتقدات ، و في القرن التاسع شمل التسامح الفكر الحر.² أدت حركة الإصلاح الديني إلى تفتيت وحدة المعتقدات الدينية في أوروبا النصرانية « حيث لم يعد الإيمان الحقيقي مرتبطا بالكنيسة الكاثوليكية بزعامة البابا و قد أدى ذلك إلى قيام عدد من الكنائس أصبحت تدعي أنها تعتنق و تمارس إيمانا حقيقيا ككنيسة انجلترا ، و كنائس اللوثرية و الكالفينية³» إلا أن هذه الكنائس أصبحت تمارس اضطهادا للمواطنين و تعصبا ضد بعضها البعض. و لم يكن ثمة فصل بين الدين و الدولة في المسيحية، و لم يكن ثمة دولة بمعنى دولة ذات سيادة أي تجسد السيادة على الشعب .

¹ - المرجع نفسه ، ص 18.

*الكاثوليك: هي أكبر الكنائس المسيحية لقبها الرسمي هو الكنيسة المقدسة الكاثوليكية الرسولية مثلت هذه الكنيسة القوة الروحية الأساسية في تاريخ الحضارة الغربية .
**البروتستانت هي مجموعة العقائد الدينية و الكنيسة المنبثقة عن حركة الإصلاح الديني في أوروبا و تعني الاحتجاج و الاعتراض و من أبرز مؤسسيها لوثر و كالفن.

² - أندريه لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، مرجع سبق ذكره ، ص 1460.

³ - عبد الحسين شعبان ، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي ، مرجع سبق ذكره ، ص 16.

لقد أثرت سياسيات الاضطهاد الديني تأثيرا كبيرا على الواقع السياسي و الفكري في أوروبا في القرن السابع ميلادي ، و هو الأمر الذي ظهر في حرب الثلاثين عاما و الحرب الأهلية في إنجلترا و قد برز اتجاهين فكريين :

الاتجاه الأول تمثل في « صعوبة توحيد النصارى لحمل كل فئة منهم رؤى مختلفة لما يمثله في الإيمان الحقيقي بالنسبة لها¹ » و قد اتفق أصحاب هذا الاتجاه حول بقاء كنيسة شاملة مع بقاء الاختلافات في المعتقدات و في أشكال العبادة القائمة بين النصارى. أما الاتجاه الثاني فهو رافض « لمفهوم الكنيسة "الشاملة" و قد طرح أفكارا تدعو إلى التسامح لكل المعتقدات النصرانية² » و قد برز هذا التوجه في الجزء الأخير في القرن السابع عشر .

و لذلك ارتبطت فكرة التسامح الديني في بدايتها عند الفيلسوف الانجليزي "جون لوك" الذي كان ينظر إليها بوصفها الحل العقلاني الوحيد لمشكلات الخلافات التي نشأت داخل الكنيسة و التي تعتبر الدين الرئيسي في الثقافة الغربية.

¹- محمد بن أحمد مفتي ، نقد التسامح الليبرالي ، مرجع سبق ذكره . ص 18.

²- المرجع نفسه ، ص 18.

المبحث الثالث : التسامح الديني عند لوك

1. آراؤه في الدين:

كتب لوك كثيرا عن أمور الدين فقد نشر و كتب ثلاث رسائل عن التسامح ، و في سنة 1690 نشر كتاب "معقولية المسيحية" . و قد اعتبر لوك أن التسامح هو العلاقة الرئيسية المميزة للكنيسة الصادقة لأن العقيدة الدينية هي في المقام الأول علاقة بين كل فرد من الناس و بين الله . و الدين الصحيح ينظم حياة الناس وفقا للفضيلة و التقوى ، فالدين الخالي من المحبة و الاحسان هو دين زائف ، و الذين يضطهدون الآخرين باسم المسيح يتكبرون لتعاليم المسيح لا يمثلون أي مظهر للسلام و القداسة¹.

و الإيمان لا يمكن أن يفرض عن طريق القوة القاهرة ، كما لا يمكن ارغام العقل على اعتقاد أشياء لا يريدونها فكل محاولة لفرض الإيمان عن طريق التعصب و القوة ، لن يؤدي إلا إلى نشر النفاق و الاستخفاف بالله. و يظهر ذلك في قوله في كتاب رسالة التسامح: « و هو أنني أنظر إلى التسامح على أنه العلامة المميزة للكنيسة الحقة فالبعض يتباهى بقدم الأماكن و الألقاب ، أو بعظمة الطقوس ، و البعض يزهو بصلاح إيمانه ، بينما يفاخر الجميع بما يعتقدون أنه الإيمان الحق الذي لا يشاركون فيه أحد . هذه كلها و غيرها مما على شاكلتها إنما هي علامات على شهوة البشرية في تسلط كل منهم على الآخر أكثر مما هي علامات على حب كنيسة الله »² . و الإقناع عن طريق ما هو أحسن هو الشيء الوحيد الذي يحرر العقل.

¹ - د . عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة (ط1 ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات و النشر و التوزيع 1984) ج 2 ، ص 380 .
² - جون لوك ، رسالة في التسامح ، تر منى أبو سنة ، تقديم و مراجعة مراد وهبة (ط1 ، مكتبة الإسكندرية : المجلس الأعلى للثقافة ، 1994) ، ص 19 .

2. التسامح عند لوك و فصل الدولة عن الكنيسة:

حرر لوك رسالة في التسامح الديني باللغة اللاتينية و نشرها عام 1689 م. و كان يقصد بالتسامح الديني أنه ليس من حق أحد أن يقتحم باسم الدين الحقوق المدنية و الامور الدنيوية . و لأن مهمة الدين تختلف عن مهمة الحكومة، فعالم الروح لا دخل له في اختصاص الحكام ، و الإيمان الحقيقي يقوم عن طريق إقناع العقل إقناعا داخليا و لا يمكن لأي قوة خارجية إجباره على الإيمان أو اعتناق دين معين ، وبسبب هذه الأفكار تعرض لوك لهجوم كبير و ألف رسالة ثانية في جوان 1690 م و رسالة ثالثة 1693م.¹

فصل لوك بين الكنيسة و الدولة فصلا حادا فالكنيسة عبارة عن « جماعة من الناس التقوا بإرادتهم و اتفقهم من أجل العبادة العلنية لله على النحو الذي يرون فيه رضاه ، و من أجل نجاة أرواحهم ² ». أما بالنسبة للدولة فكل ما يهمها هو الصالح العام و كذا المحافظة على حياة و حرية المواطنين و ممتلكاتهم ، وليس لها أية سلطة في أمور الدين فكل ما هو قانوني لا يمكن أن تمنعه الكنيسة و تجعله محرما و ممنوعا .

إذ يرى لوك أنه ليس من حق أي شخص، و لا أي كنيسة ، و لا أي دولة في أن تسيطر على مصالح الآخرين باسم الدين ، و تجريدهم من مصالحهم الشخصية .³

و لا يندرج ضمن اختصاصات الحاكم المدني عند لوك رعاية النفوس ، فالله لم يمنحه هذه السلطة و لا الناس كذلك ، فلا ينبغي للسلطة المدنية أن تخوض في مسألة عقائد الإيمان عن طريق القوانين المدنية سواء كما ذكرنا في أمور العقائد أو أشكال العبادات فمن واجب الحاكم المدني تطبيق القوانين بلا استثناء لتحقيق العدل و المساواة بين الناس.

¹ - المصدر نفسه ، ص 07.

² - د. عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ، مرجع سبق ذكره . ص 380.

³ - jhon lock , lettre sur la tolérance , trad jean le clerc (édition électronique réalisée à partir du livre de John Locke) ,p14.

من دوافع ايضا كتابة "لوك" للتسامح الديني هي مشكلة الناس الذين يتمسكون بمعتقداتهم الدينية بيقين بالغ و هذا ما يدفعهم إلى النظر بالآخرين نظرة انتقاد و عدم احترام.

و الناس الذين لا يسببون أي ضرر للآخرين عند ممارستهم لدينهم يجب أن نتسامح معهم فإذا كان أسلوبهم مقبولا فالجميع أحرار في ما يرغبون في اعتقاده ، و مادام لا يسببون الضرر لحقوق الآخرين سواء الحقوق المدنية الأساسية أو تهديد السلام العام.

رغم فكرة لوك التي تستند أساسا على مبدأ التسامح الديني، و على حرية الفرد في الرأي و العقيدة و الاعتقاد ، إلا أنه نجده قد استثنى من تسامحه بعض الأفراد و منهم :

- الملحدون* ، أو غير المؤمنين .
- الأفراد الذين لا يتسامحون مع معارضيتهم ، في حين يطلبون التسامح مع الغير .
- الكاثوليك ، لأنهم خاضعين لسلطة خارجية أجنبية عن الكنيسة الأنغليكانية و هي كنيسة روما، ولذلك فكل كاثوليكي في نظره مدين بالولاء الاعتقادي خارج انجلترا¹.

و يمكن أن نستخلص أن " لوك" قد أعلن مبدأ أساسي للحدثة من خلال رسالته في التسامح ألا و هو العلمانية* ، فكل حقيقة تتناول و فق منظور عقلي تعتبر حقيقة إنسانية ، فالحقائق المطلقة ليست في متناول قدراتنا المعرفية ، و اللاهوت الذي يدعي أنه يمتلك الحقيقة المطلقة هو ادعاء بلا أساس معرفي الذي أفرز العنف و التعصب ، فقد غابت المسيحية العاقلة خلال القرن السابع عشر ، و لعل هذا ما دفع " لوك" إلى تحديد العلاقة بين الدين و الدولة فيما

* الملحدون : عبارة عن مصطلح عام ، يستعمل لوصف تيار فكري و فلسفي و جوهر هذا الفكر تركز في عدم اعتقاد بوجود أي آلهة للكون.

¹ - د.عزمي إسلام ، جون لوك ، مرجع سبق ذكره ، ص 267-278.

**العلمانية : تطالب العلمانية بحرية الاعتقاد و تحرير المعتقدات الدينية من تدخل الحكومات و الأنظمة، وذلك بفصل الدولة عن أي معتقدات دينية أو غيبية، و حصر دور الدولة في الأمور المادية فقط .

يسمى بالعلمانية ، و العلمانية لا تتناقض مع الدين المدني عند لوك ، و القوانين المدنية مؤسسة على مفاهيم قانون الطبيعة و هذا الأخير إلزام عقلي يلزمنا بالحرية و المساواة و العدل و الحياة و الملكية.

إن الكتابات التي تلت التسامح تعتبر كذلك خطوة مهمة للمناداة بفصل الدين الذي أصبح بمثابة السبب الرئيسي للتعصب ، و دافع مونتسكيو بطريقة غير مباشرة عن التسامح الديني حيث أكد ما أكده لوك بأن التعصب الديني ، و انعدام التسامح قد يؤديان الى خسائر جسيمة للدولة.

وقد دفع الاضطهاد الديني الكثير من الأفراد الى الهجرة ، و هو ما أثر على الرفاهية الاقتصادية و التقدم الصناعي. كما لفت الانتباه الى سبب آخر في كتاب روح القوانين يتعلق بالتسامح و التعصب الديني ، فأولهما يشير إلى أن « السماح بتعدد الأديان في الدولة لن يؤثر على أمنها »¹ ، كون المذاهب الدينية كلها تفرض الطاعة و هو ما يساهم في تحقيق الأمن الداخلي للدولة . و لم يعطي مونتسكيو أي اهتمام لصحة الدين أو زيفه ، و قد كان من « الربوبين أي المنتمين إلى مذهب الربوبية الذي ساد في القرن الثامن عشر . و هو مذهب فكري يدعو إلى الإيمان بدين طبيعي مبني على العقل ، لا على الوحي، و يؤكد على الأخلاقيات الطبيعية منكرًا تدخل الخالق في نوامس الكون² ». و يشمل الإيمان بإله دون الاعتقاد بالديانات المنزلة وقد أدى انتمائه لهذا المذهب الربوبي لتأكيد أنه العقل و الأخلاق يؤديان إلى التسامح و في المقابل فإن التعصب و الحماس الديني غير العقلاني يؤديان إلى التعصب و الاضطهاد و عدم التسامح.

¹- د.محمد بن أحمد مفتي ، نقد التسامح الليبرالي ، مرجع سبق ذكره، ص24

²- المرجع نفسه ، ص 24.

أما بالنسبة " لفولتير " فإن التعصب هو واقع مرتبط بالمسيحية و النصرانية التي كانت تسعى لتحقيق السيطرة على الجانب السياسي و الروحي ، و التي أعطت الأولوية للروحي و هذا ما قد يسبب في تعطيل الإنسان و المواطن . فقد شن فولتير هجوم شديد على الدين و رجاله « منها محاكمة البروتستانتية "جين كالاس" و إعدامه لاتهامه بقتل ابنه الذي قيل أنه تحول إلى الكاثوليكية¹ » ، حيث أشار إلى أن قيام حكومة قوية يشترط ذلك مبدأ التسامح فالتسامح و العدالة ينبعان من الطبيعة .

و من أجل الحد من التعصب الديني* يجب إخضاع رجال الدين للدولة بدلا من استمرار الكنيسة في ممارستها الراسخة في استخدام الدولة .

و يجب تحقيق المساواة في المصالح الاقتصادية ، فالمصالح التي تسخر للبروتستانت ينبغي كذلك أن تسخر للكاثوليك.² و هذا لأن عدم المساواة في المصالح الاقتصادية يعد سببا آخر لتأخر مكافحة التعصب.

كما يعتبر "جون ستيوارت مل" (1806-1873) من أشد المدافعين عن مبدأ التسامح في القرن التاسع عشر ، و قد ربط التسامح بالحرية الفردية المطلقة و اعتبر أن الحرية الدينية لا تمارس إلا في أماكن يوجد فيها اللامبالاة الدينية التي ترفض النزاعات اللاهوتية حفاظا على سلامها، رغم ذلك إلا أن في بعض البلدان المتسامحة هناك تحفظ للتسامح من طرف معظم المتدينين.³

¹ - المرجع نفسه، ص 25.

* التعصب الديني: التزم في الحماس و التمسك الضيق الأفق للعقيدة أو فكرة دينية مما يؤدي إلى الاستخفاف بآراء الآخرين و التطرف و البعد عن العقل.

² - إميل برهيه ، تاريخ الفلسفة ، تر جورج طرابشي (ط 2 ، بيروت : دار الطليعة للطباعة و النشر 1993) ج 5 ص 189.

³ - جون لوك ، رسالة التسامح ، مرجع سبق ذكره ، ص 08.

و قد اهتم أيضا بمعوقات الحرية الفردية النابعة من القانون الغير المكتوب و الضغط الناشئ من العرف و الرأي العام (العادات و التقاليد) ، وكان يأمل بتوسيع فكرة التسامح و اخراجها من الحقل الديني و السياسي إلى حقل الأخلاق و السلوك ، و إلى كل الأفعال المرتبطة بالمصلحة الشخصية للفرد ، و قد « انتقد "مل" مجتمعه الذي كان ينبذ و يعاقب أفعال تتدرج ضمن الحرية الفردية للإنسان¹ » كالعامل في أيام العتلة الدينية و يرى أن الحرية لا تتحقق عن طريق القمع و الاستبداد . فهو لم يناهز فقط بالفصل بين الدين عن الدولة و إنما طالب أيضا بحق الفرد المطلق في الحرية ، و عدم السماح بالتدخل في شؤونه الخاصة مدام ذلك لا يتعارض مع حرية الآخرين .

و يمكن القول أن "مل" ساهم في إرساء دعائم الليبرالية، التي تنادي بربط التسامح بالحرية الفردية ، فقد أصبح التسامح بالتدرج العمود الفقري لليبرالية ، و في الغرب اليوم ينظر إليه على أنه سياسي و عرقي و جنسي.²

شكلت فكرة التسامح الديني بعد الحروب الدينية أهم المصادر الفكرية التي جعلت الدولة تتخذ موقفا محايدا في مجال المسائل الدينية ، بداية برفض استخدام قوة الدولة لفرص مذهب ديني معين ، لضمان حرية الإيمان للمواطنين ، و قد ظهر في صيغة "لوك" التي طورها لاحقا "جون ستيوارت مل" ضمن مفهوم الحرية في القرن التاسع عشر ، فمهمة الحكومة إدارة الدولة و ليس إدارة الطريق إلى الجنة . أما في الدولة الديمقراطية الليبرالية العلمانية المعاصرة « فليس التسامح الديني هو المبدأ بل التعددية في إطار الدولة المدنية³ » ، لكن ثمة علاقة تاريخية

1- د. محمد بن أحمد مفتي ، نقد التسامح الليبرالي ، مرجع سبق ذكره، ص 28.

2- د. سمير الخليل و آخرون ، التسامح بين شرق و غرب ، مرجع سبق ذكره . ص 06.

3- د. عزمي بشارة ، الدين و العلمانية في سياق تاريخي (ط1 ، بيروت : المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات (2015) ج2 مجلد 1. ص 442.

بين التسامح الديني و تحييد الدولة في شؤون الدين ، بحيث اعتبر بمثابة مقدمة لتعددية الدينية في ظل المساواة أمام القانون.

3. حدود التسامح:

ينطوي التسامح على فكرة تقبل الاختلاف و التعددية ، فلا يمكن فهمه بدون اختلاف فهو ليس عبارة عن حقيقة مطلقة، بل هو عبارة عن حق تنتزعه المجتمعات المنخرطة بفعالية الاختلاف متعدد المستويات و المعاني ، و نحن كبشر لا يمكن القول أننا نمتلك الحقيقة المطلقة و فكرة التسامح تكمن في اعتبار الآخر صاحب الحق الكامل أن يكون مختلفا عني.

وكل عملية « تسامح ليست بالضرورة أو لا تقود بالضرورة إلى عملية توافق بيني وبين الآخر و لكنها تقود إلى الاعتراف بحق الآخر في أن يعتقد، و أن يقول ، و أن يفعل ما يوازي أو يلائم هذا الاعتراف ¹ ». لكن ينبغي الإشارة إلى أن للتسامح حدود ، فصحيح أننا نطالب بالحرية لكن ليست الحرية التي لا حد لها و التي تجلب الضرر على أناس آخرين ، « ننشر الايمان لكن ليس على حساب معتقي إيمان آخر. فالخطوط الحمراء تمتد حيث يهاجم التسامح و الاحترام اتجاه أناس آخرين ² » ، فمن يهاجم أشخاصا بسبب دينهم أو عرقهم عن طريق الكلام و الأفعال ، فهو يبعد نفسه عن قوس التسامح و لا يمكن أن يطالب بالتسامح اتجاه عدم تسامحه.

و من لا يتسامح مع الآخرين لا يمكن أن نتسامح معه و هذا ما قد سبق أن عبر عنه " لوك" في استثناءاته التي أشار إليها في رسالته في التسامح ، إضافة إلى استثناءه للكاثوليك و الملحدين . لكن رغم أنه كان يدافع عن الحرية الفردية بالمعنى الانساني الواسع وقع في نوع من التناقض في اتجاهه الأساسي و نظريته الأصلية في التسامح و حرية الاعتقاد

¹ - د. علي عبود المحمداوي ، خطاب الهويات الحضارية من الصدام إلى التسامح ، مرجع سبق ذكره . ص 164.
² - هوبرتس هوفمان ، قانون التسامح ، تر عادل خوري (ط1 ، القاهرة : العربي للنشر و التوزيع 2014) ، ص 267.

فقد كان أولى به أن يظل على تمسكه بالمعنى الانساني بفكرة التسامح ، التي يجب أن تتسع لكل إنسان بوصفهم بشر ، لكل منهم حرته بأن يعتقد في الدين أو العقيدة التي يقتنع بها فمن حيث هو مسيحي ناقض ما تنص عليه المسيحية ، و استثنى من محبة الدين المسيحي من يريد ، و طرد من مجال التسامح من لا يراه جدير بذلك .

و ما نقصده هو أن التسامح هو ليس مجرد قبول كل شيء سواء كان خيرا أم شرا ، بل هو النداء و المطالبة باحترام كرامة الانسان و كرامة الرجل و المرأة مع اختلافهم في الايمان و الحياة . فهو موجه أيضا الى احترام الانسان بغض النظر عن إيمانه و عرقه . و وفقا لإيمان الأديان الكبرى فالله قد خلق البشر مختلفين بعضهم عن بعض ، ولذلك نحن مطالبون بالرحمة و التصرف الصحيح للتسامح ، لأن من الضروري ممارسة حوار متواصل و تعارف و البحث عن عوامل رفيقة لإحلال السلام . و نحن ملزمون ألا نقمع الآراء التي لا نوافق عليها كما أننا غير مطالبين بأن نحب أو نؤيد و نشجع آراء معينة ، فكل ما يتطلبه التسامح هو أن نسمح بالتعبير الحر على الآراء التي قد لا نوافق عليها ، فهو بذاته تعبير عن قيمة أخلاقية .

و بناء على ما سبق ذكره تتبادر إلى أذهاننا أسئلة تتعلق بمدى تأثير أفكار التسامح على الفكر الفلسفي في فترات تاريخية مغايرة و مجتمعات أخرى غير المجتمعات الغربية، و ما يهمننا في الفصل الموالي بيان علاقة التسامح بأفكار أخرى مرتبطة به أيما ارتباط كفكرة التعايش السلمي و التعددية الدينية .

الفصل الثالث : التعايش السلمي و مقومات الحوار.

المبحث الأول : التعايش السلمي والتسامح في الاسلام.

المبحث الثاني : التعددية الدينية .

المبحث الثالث : الحوار بين الأديان و الثقافات.

المبحث الأول: التعايش السلمي و التسامح في الاسلام.

1. مفهوم التعايش السلمي :

أولا ينبغي الإشارة إلى أن التعايش بصفة عامة يوحي لنا إلى نوع من التعاون ، الذي يقوم على أساس الثقة و الاحترام المتبادلين، و يهدف إلى غاية و هي تحقيق التفاهم بين مختلف الأطراف كالتعايش و الحوار بين الأديان الذي يقتضي « إيجاد النقاط المشتركة بينهم و إبراز منظومة القيم الإنسانية المشتركة¹ ». كالتسامح، و المحبة ، و ضمان حقوق الإنسان . و التعاون بين الأديان ينبغي أن يهدف أيضا إلى إنصاف المظلومين جميعا دون استثناء و إقرار مبادئ العدل و الحق التي تشترك فيها مختلف الأديان. و هو يستند إلى أسس منها : أ. التعايش يجب أن يكون منبعه الذات و الإرادة الحرة المشتركة و لا يجب أن يكون مفروض تحت أي ضغوط أيا كان مصدره .

ب. يجب أن يكون المقصد الرئيسي من التسامح هو « خدمة الأهداف الأساسية السامية و تحقيق المصالح البشرية العليا² ». كردع العدوان و الظلم ، و محاربة العنصرية و السعي نحو تحقيق الأمن و السلم. فالتعايش بين الأديان هو في ذات الوقت تعايش بين الثقافات و الحضارات و هو يحمل معنى إيجابي و هو خدمة هذه الاهداف السامية.

2. التسامح في الإسلام :

كلمة "التسامح" لم ترد في القرآن الكريم ، لكن الشريعة الإسلامية أكدت على ورود معناه و ما يقاربه « حين تمت الدعوة إلى التقوى و التشاور و التأزر و التراضي و التراحم و التعارف و كلها من صفات " التسامح " مؤكدة حق الاختلاف بين البشر³ » .

¹ - مجموعة من الأكاديميين ، التعددية و آليات الحوار (ط1 ، بيروت : ابن النديم للنشر و التوزيع 2016) ، ص 167.
² - د. عبد العزيز التويجري ، الإسلام و التعايش بين الأديان في أفق القرن 21 (ط2 ، الرباط : منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة 2015) ، ص 14.
³ - د. عبد الحسين شعبان ، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي ، مرجع سبق ذكره . ص 95.

و عند الرجوع إلى القرآن الكريم ، الذي يمثل المرجعية الأساسية للشريعة الإسلامية بالإضافة إلى السنة النبوية ، فبعض آيات القرآن تعطينا صورة واضحة لمعنى التسامح و قد جاء في الآية الكريمة : ﴿ و ليعفوا و ليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ [سورة النور ، الآية 22].

هناك أربعة اتجاهات فكرية مرتبطة بمسألة التسامح :

الاتجاه الأول يطلق عليه بالاتجاه "الرافض" حيث يرفض كل حديث عن التسامح في مختلف النطاقات : دينية ، و سياسية ، و فكرية، و ثقافية ... بحجة امتلاكه للحقيقة و يرى الرأي الآخر على أنه النقيض و يتهمه بالكفر و الاستكبار.

بالنسبة للاتجاه الثاني فهو تعبير عن تيار إصلاحى يؤمن ببعض أفكار التسامح لكنه يظل متمسكا بالفكر التقليدي السائد.

أما الاتجاه الثالث فهو يشمل التيار التغريبي الذي يؤكد على فكرة التسامح و يحاول تعميمها على كل شيء ، و يدعو إلى قطع الصلة بالتراث و التاريخ ، و يعتبر أن التسامح قيمة حديثة لا علاقة لها بالإسلام . بل يمثل نقيض الإسلام الذي يحث على العنف و الإرهاب. و هذا نتيجة للفهم الخاطئ للاتجاهات الإسلامية و موقفها من الحداثة.

و في الأخير نجد الاتجاه الرابع و هو تعبير عن التيار المؤيد للتسامح ، و ينظر إليه كحقيقة عليا و يربطه بحقوق الإنسان.¹

إن الفصل بين الدين و الدولة الذي حدث في الغرب في القرن السابع عشر لم يحدث بعد في مجتمعاتنا العربية الإسلامية ، لأن في كثير من جوانبها يتداخل فيها الديني بالسياسي و هذا يعني أنها لم تدخل بعد مرحلة الحداثة . و بعض العرب و المسلمين يعتبرون فصل الدين عن الدولة هي محاولة فرض العلمانية التي تعتبر في نظرهم تصرفا ضد الدين هذا من جهة و من جهة أخرى هناك من يرى أن دخول العرب و المسلمين عالم الحداثة يكون وفقا لنظرية

¹ - د. عبد الحسين شعبان ، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي ، مرجع سبق ذكره . ص 34.

الدولة المعاصرة القائمة على المساواة التامة و المواطنة الكاملة ، و حق الناس على اختيار الحكام و استبدالهم ، ووضع الدين في المكانة التي يستحقها .

أما في الغرب هناك قوانين و أنظمة تستند إلى قيم التسامح ، حتى و إن وجدت بعض الممارسات من طرف بعض الاتجاهات المتعصبة و المتطرفة ، في حين أن بعض التيارات الإسلامية ترفض قيم الحداثة، و الديمقراطية ، و الليبرالية ، والعلمانية حتى أنها تتهمها بالكفر و تعتبرها قيما غريبة . و هذا ما يدفع إلى التعصب و التغريب ، و غياب فكرة التسامح.¹

و لعل فكرة التسامح هي أكثر ما تفتقر إليه البلدان العربية الإسلامية. هذا من جهة ، و من جهة أخرى تفتقر إلى التعددية و حق الاختلاف.

و التسامح في المنظور الإسلامي يقوم على أساس معيارين هما:

أ. تحديد غاية الوجود الإنساني ، التي يتخذ الإنسان الأسباب لتحقيقها ، و من ثم الالتزام بالأسباب التي تتلاءم مع هذه الغاية و لا تصادما .

ب. مد الوعي بالوجود الإنساني إلى ما وراء الحياة الدنيا القصيرة الفانية، إلى الحياة الخالدة الباقية.²

و الله أنزل على الناس كتباً لهدايتهم على أيدي رسل صلى الله عليهم و سلم، و الغاية من ذلك هو عبادة الله بشكل واع، و الله خلق الإنسان بقدرته على أحسن خلق و ميزه عن باقي المخلوقات و ذلك لما وهب له من ملكة العقل.

كما تحدث القرآن الكريم عن حرية التدين التي تعتبر أيضا مسألة مهمة و ذلك في نحو مئة آية و أكد على :

¹ - المرجع نفسه ، ص 13.

² - د. عبد العزيز عثمان التويجري ، الإسلام و التعايش بين الأديان ، مرجع سبق ذكره . ص 24.

- حرية العقيدة لغير المسلمين .
- حرية التعبد.
- عدم الإكراه أو الإجبار.
- التزام احترام الآخر .¹

يمكن القول أن القرآن الكريم يشكل مرجعية أساسية لقيم التسامح ، و الحرية ، و العدل و لذلك يجب أن نفهمه على أحسن وجه من أجل تفادي الوقوع في أشكال العنف و التعصب . إن التسامح يشكل فضيلة و قيمة أخلاقية التي تتأسس على قاعدة الحق في الاختلاف ، ومبدأ التسامح هذا يتطلب معايير التعددية و التعايش التي تعتبر بدورها نتيجة لممارسة الحوار و آداب الاستماع و الانصات الجيد للآخر .

إن نشر ثقافة التسامح و تعزيزها هي بحاجة إلى الانفتاح و إلى بيئة مناسبة تتسم بفضاء الحرية ، و إلى مجتمع مدني يكون شريكا فاعلا مع الدولة التي ينبغي أن تعمل وفقا لسيادة القانون و المساواة بين المواطنين .

¹ - د. عبد الحسين شعبان ، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي ، مرجع سبق ذكره . ص95 .

المبحث الثاني: التعددية الدينية.

1. مفهوم التعددية:

إن مفهوم التعدد « يحيل و بشكل مباشر إلى مفاهيم عديدة منها الاختلاف واللا تجانس و التنوع أو حتى التشابه ، و التعدد يجعل من الأشياء و الأجسام مختلفة متكاملة ، متداخلة أو متنافرة ... »¹ .

و هذا التعدد يظهر في اختلاف العادات و التقاليد الاجتماعية و أنماط السلوك ، و أنظمة الحكم و استراتيجية كل دولة ، فالاختلاف هنا يعبر عن حقيقة تاريخية و سياسية ، و هي ذلك الحق المشروع في الاختلاف و لذلك يجب على دستور الدولة و قوانينها عدم التدخل « أو السماح لجهة ما سواء أكانت دينية أو اجتماعية أو سياسية بالتدخل لإلغاء الاختلاف أو فرض رؤية أحادية على المجتمع »² فهي تنظر إلى المجتمع على أنه قائم على روابط سياسية و غير سياسية ، متعددة و دينية ، ثقافية و عرقية .

و قد تم الربط بين التسامح و التعددية و الديمقراطية في وثيقة إعلان مبادئ التسامح الصادرة عن اليونسكو في 16 نوفمبر 1995.³ التي نصت على أن التسامح هو الاحترام و تقبل التنوع و الاختلاف في ثقافات الشعوب لأنه مفتاح حقوق الإنسان و التعددية و الديمقراطية.

2. التعددية الدينية:

تختص التعددية « في العقائد و الشرائع و المناهج المتصلة به، و تعني الاعتراف بوجود تنوع في الانتماء الديني في مجتمع واحد أو دولة تظم مجتمعا أو أكثر، كوجود اليهودية و النصرانية بالإضافة إلى الإسلام في ظل المجتمع الإسلامي »⁴ .

¹- مجموعة من الأكاديميين ، التعددية و آليات الحوار ، مرجع سبق ذكره . ص 189.

²- أحمد بن محمد مفتي ، نقد التسامح الليبيرالي ، مرجع سبق ذكره . ص 41.

³- المرجع نفسه ، ص 42.

⁴- مجموعة من الأكاديميين ، التعددية و آليات الحوار ، مرجع سبق ذكره . ص 359.

و هذا يعني وجوب الإقرار بتعدد الأديان في مختلف المجتمعات، فكل دين يحمل اعتقاد معين ينبغي علينا احترامه. و نجد " مفكر التعددية الدينية "جون هيك" * john hick (2012-2922) ينظر إلى أن المبدأ الأساسي للتعددية الدينية يستند إلى أن « الحق و الحقيقة أصل موجود في كل الأديان ، فالأديان كلها قادرة على أن تكون سببا لكمال أتباعها و خلاصهم »¹ . و لذلك على الإنسان احترام جميع الأديان الأخرى كونها تحمل حقيقة معينة تؤدي إلى الله و إن كان ذلك بطرق مختلفة .

و يضيف أيضا أن هذه الأديان ربما كانت صورا و تجليات لأله واحد ، و هي عبارة عن أنحاء و طرق متباينة يعرضها الله ذاته على البشر من زاوية متعددة و في مقامات و مواقف متباينة فإن لم تتصالح الأديان لا يتصالح البشر . و لا تتصالح الأديان إلا إذا آمنا أنها انعكاسات و تعبيرات مختلفة لتلك الحقيقة الألوهية المطلقة التي نسميها الله.²

ليس هناك ديانة واحدة في العالم و لا رؤية واحدة و من خلال تاريخ البشر هناك تنوع و تعدد في الأديان. حيث « هناك عدد من الأديان و في داخل كل دين هناك عدد من المذاهب و داخل كل مذهب هناك عدد من المدارس ، إذن هناك تعددية فعلية في التوجهات الدينية للبشر ».³ و يمكن أن نقول أن هناك عشرات من الأديان و مئات من المذاهب التي يعتنقها الناس .

فكل انسان يعيش في بيئة و ظرف معين يدفعانه نحو قناعات معينة خاصة في قراءة النصوص الدينية ، و رغم هذه الأسباب إلا أن هناك نوع من التعامل السلبي مع التنوع و التعدد ، وذلك لأن كل دين و كل مذهب يحاول فرض دينه و مذهبه على الآخرين .

* جون هيك : فيلسوف انجليزي مختص في فلسفة الدين و الإلهيات ، و اهتم بإعادة تشكيل التصورات المسيحية بهيكله قادرة على التحوار بين الأديان .

¹ - أحمد بن محمد مفتي ، نقد التسامح الليبيرالي ، مرجع سبق ذكره 49.

² - عبد الله الوهاب بوحدية ، « التعددية الدينية » ، قضايا اسلامية معاصرة 31-32 (2006) ، ص 86.

³ - د. مهدي صليل ، التعددية الدينية (ط1 ، المملكة العربية السعودية : فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية 2015) ، ص 12.

و هؤلاء الآخرين يرفضون ذلك لأنهم متمسكون بدينهم و مذهبهم و هذا ما قد يؤدي إلى خلق التعصب و الحروب و النزاعات . كما أن بعض الجهات تحاول أن تستغل الدين و المذهب و تهيمن باسمه على الآخرين و تحاول النيل من حقوقهم و هذا سببه الفهم الخاطئ لمفهوم التعددية و الاختلاف.

من أهم الأساسيات اللازمة لقبول مبدأ التعددية الدينية هو أن نفتح عيوننا على العالم ، لنرى بوضوح أن الأديان و المذاهب الأخرى موجودة فعلا في هذا العالم ، إذ تمارس عدة طقوس و عبادات و شعائر من أجل الوصول إلى الحقيقة الدينية . و هي تركز على أمرين أساسيين هما : « احدهما تنوع أنماط فهمنا للنص ، و الثانية تنوع تقاسيرنا للتجارب الدينية » .¹

و التعددية الدينية ليست مجرد منهج نظري في المعرفة الفلسفية بل لها نتائج إيجابية و عملية على الواقع المعاش و أثارا على الميدان الثقافي . و المجتمع المتدين يجب أن يؤمن و يتقبل التعددية في الأديان ، كما يجب تعميم و ترسيخ هذه الفكرة بين الشعوب و هذا لا يتحقق إلا بالمجهودات التي تبذل من طرف العلماء ، ما دامت الأوساط الشعبية تتعرض باستمرار للنزاعات الطائفية و العرقية .²

3. التعددية الدينية في المجتمع العربي :

إن غياب الديمقراطية في البيئة العربية و الحوار كأسلوب حضاري ، و بسبب الجمود الفكري خاصة عند رجال الدين في المنطقة العربية ، يصعب علينا الاعتماد على هؤلاء لأجل تكريس ثقافة جديدة للحوار بين الأديان المختلفة.

و الخطاب الديني الذي ينتج الصراع بين أبناء المجتمع بحجة الخلاص أو الولاء للدين هي جريمة ينبغي وضع حد لها باعتبار تنفيذها مجرمون و ليس أهل دعوة و إصلاح ، لذا ينبغي للسلطة السياسية وضع تشريعات جديدة وفق نظام جمهوري تكفل حقوق الطوائف و ذلك

¹- أحمد صدرى ، « التعددية الدينية » ، قضايا اسلامية معاصرة 22 (2003) . ص 136 .
² - أحمد صدرى ، « التعددية الدينية » ، قضايا اسلامية معاصرة 22 (2003) . ص 136 .

بتظافر جهودهم للقضاء على أساليب التفرقة و التشتت . و العدو ليس حسب اعتقاد المتدينين

المتعصبين هو من يخالفني الرأي ، بل العدو الفعلي هو من يحرمني حق الوجود.¹

إن التعددية الدينية و الفكرية واقع لا مفر منه و من واجب المؤسسات الإدارية و التشريعية

العمل على مراقبة النشاط الديني و الثقافي وفق معيار المواطن و ليس وفق ما يرى الكافر

و المؤمن . و في الواقع الإسلامي نجد فيه اختلاف شاسع في أسلوب التعاطي مع الاختلاف

الديني و الفكري و بين ما يدعوا إليه القرآن الكريم ، فكان عليهم أن يسترشدون بالآيات الكريمة

و أن تكون بمثابة درس في طريقة تعاملهم مع التعدد و اختلاف الآراء و المعتقدات و تعدد

المذاهب فيما بينهم و بين غيرهم . و بدل أن يلجأ المسلمون لحل الخلافات الفكرية و العقائدية

من هدي القرآن إلا أنهم عالجوها وفق التعصب و الاستبداد» لأن المسلمين في أغلب عصورهم

كانوا يعيشون وفق الاستبداد الفكري و السياسي ، فتشبعوا بهذه الحالة «²

و مبادئ القرآن تؤكد على الحرية الدينية ، و الإنسان حر في معتقداته الدينية لقوله تعالى :

{ لكم دينكم و لي دين } . [سورة الكافرون، الآية 06] . و حر في ممارسة شعائره الدينية

و هي من أهم حريات الإنسان و التدين يكمن في أعماق الإنسان و هي حرية شخصية و في

الشريعة الإسلامية فإن أتباع الديانات الأخرى لهم الحرية في أماكن عباداتهم كالكنائس

و المساجد، و المعابد ... الخ.

بالنسبة للمجتمعات الأخرى المتقدمة لا يواجهون مشكلة في اختلاف الآراء و المعتقدات

و كل واحد يمارس ديانته و معتقداته بكل حرية . و يمكن القول أن المجتمعات الغربية

وصلت إلى مستوى رفيع من النضج و الفهم و هذا لإيمانهم بحقوق الإنسان و حرية التعبير

عن الرأي ، لكن مجتمعاتنا للأسف لا يزال أبنائها يتقاتلون على اختلاف المذهب و الرأي

¹ - مجموعة من الأكاديميين ، التعددية و آليات الحوار ، مرجع سبق ذكره . ص 95.

² - د. مهدي صليل ، التعددية الدينية ، مرجع سبق ذكره . ص 57.

مع أن قرآنا يطرح لنا الهدى.¹ و يظهر ذلك في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ .
[سورة الحجرات ، الآية 13].

ينبغي إقامة تنظيم يراعي العدل و المساواة و هذا أيضا من مهمة الدولة التي يجب تراعي حقوق المواطنين، و أن تضمن الحرية الدينية لمصلحة الجميع ، خاصة أننا اليوم نعيش في عصر العولمة و الدفاع عن حقوق الإنسان و الدعوة الى الحوار بين الأديان و بين الشعوب و مبادرة الانفتاح في مجتمعاتنا من أجل الحد من الصراعات و النزاعات الي تواجهها أجيالنا المعاصرة.

¹ - المرجع نفسه ، ص 60.

المبحث الثالث : الحوار بين الأديان و الثقافات .

1. مقومات الحوار و أهدافه :

يعتبر الحوار بين مختلف الأديان و الثقافات في عالم اليوم ذو أهمية كبيرة، و مفهوم الحوار من بين المفاهيم و المعاني المستحدثة . و لكي نشير إلى هذا المفهوم فإن كلمة حوار في اللغة العربية تدل على « الحديث أو الجدل الذي يدور بين شخصين أو أكثر. و هي تستعمل في الأدبيات العربية المعاصرة ، كمقابل متوافق عليه لكلمة Dialogue ، المتداولة في اللغات الأوروبية . و ينحدر أصل هذه الكلمة الأجنبية من اللغة اليونانية ، و هو فيها مشتق من فعل يدل على الحديث، وعلى الجدل «¹ . كما كان في موجودا في خطاب "أرسطو" و "أفلاطون" و كلمة حوار لا تقتصر فقط على حديث يجري بين شخصين أو أكثر بل هدفها الرئيسي هي العقل و البحث عن نقاط مشتركة من أجل التفاهم و التوافق.

و الحوار بشكل عام هو « عملية تواصل ينخرط فيها فردين أو شعوب أو ثقافات ، تؤدي إلى توثيق العلاقات و توطيدها و التماسك رغم الاختلاف و التنوع² ».

إن عالم اليوم بحاجة إلى قيام الحوار ، خاصة أننا نشهد اليوم سلسلة من النزاعات و الصراعات بين الدول و الأمم و الشعوب و ذلك حول المصالح ، و المواقف السياسية مما نتج عنه تراجع القيم الإنسانية التي تعتمد على التسامح.

و الثقافة تعتبر من أهم الركائز الأساسية لبناء الأمة و نهوضها ، فكل مجتمع ثقافته التي يتميز بها عن غيره ، و هي ليست مجرد تعبير عن أفكار بل هي « نظرية في السلوك لما يرسم طريق الحياة إجمالاً³ » و هي تقوم على مجموعة من المقومات كالعقائد ، و اللغة و القيم و المبادئ ... الخ.

¹- د.عبد الرزاق الداوي ، في الثقافة و الخطاب عن حرب الثقافات ، مرجع سبق ذكره . ص 97.

²-د.نبيل طاموئيل ابادير ، حوار الثقافات ضرورة مستقبلية أو رفاهية (د ط، القاهرة : المكتبة الأكاديمية 2005) ،ص 13.

³-د.عبد الرزاق بن عثمان التوبجري ، الحوار من أجل التعايش (ط1 ، القاهرة :دار الشروق 1998)، ص99.

يجب أن يتسع مفهوم الحوار بين مختلف الأديان و الثقافات للقضاء على أسباب التوتر و عدم الاستقرار في أنحاء عديدة في العالم ، و بهذا يكون شاملا نافعا له تأثير على حياة الناس و واقعهم المعيشي . و هي وسيلة فعالة لدعم جهود المجتمع لأجل احلال السلام و إقامة العلاقات السلمية بين الشعوب ، و احترام حقوق الإنسان.

و الحرية لا يمكن ممارستها إلا في جو من السلام ، و هي الوحيدة التي تجعل الناس يصرحون بأرائهم الحقيقية . و يفتح باب المناظرات و هذا عن طريق تغلب صوت العقل عن باقي الأصوات الأخرى.¹ و لذلك يجب أن يكون المنطلق الرئيسي من الحوار هو إشاعة أجواء قيم التسامح الذي يحقق بدوره التعايش علو المستوى الثقافي و الديني.

و الحوار بين مختلف الأديان و الثقافات الذي يتم استغلاله و كذا توجيهه إلى الواجهة التي تخدم المصالح الإنسانية يفقد معناه و هدفه ، و قد اختلفت الأديان في موقفها من الحوار بين الدعوة إلى العمل به ، و بين رفضه و عدم الاهتمام به ، و يعود هذا إلى طبيعة الأديان من حيث أن « الديانات التي تتصف بالعالمية عادة ما تكون منفتحة على الآخر ، وراغبة ضمه إليها ، أما الديانات التي تتصف بالخصوصية فهي ديانات قومية ، عادة ما تكون منغلقة و غير منفتحة على الآخر² .»

و الحوار من لوازم الحياة الذي يقضي الانفتاح و التعارف ، و قد استخدم الحوار عند المسلمين في عدة مستويات من أهمها الدعوة الإسلامية ، حيث اعتمد الحوار كوسيلة عقلية من وسائل الدعوة الإسلامية ، استنادا إلى عقلانية اسلامية كدين من ناحية ، و ضرورة الاقتناع العقلي بالإسلام و عقائده من جانب غير مسلم من ناحية أخرى.³ و استنادا إلى الآية الكريمة : ﴿ لا اكراه في الدين﴾. [سورة البقرة ، الآية 286]. لا ظ تنبيه على عدم اكراه

¹-د. عبد الحفيظ عبد الرحيم محبوب ، الإرهاب و الشرق (ط1 ، لندن : شركة بريطانية مسجلة في لندن 2017) ، ص 256.

²-د. محمد خليفة حسن احمد ، الحوار منهاج و ثقافة (ط1 ، قطر : مركز البحوث و الدراسات 2008) ، ص 21.

³- المرجع نفسه ، ص 20.

الآخرين على اعتناق دين أو اجبارهم إلى دخول الاسلام ، و لا جدوى من حوار ديني لا يتخلص من التعصب القومي و المذهبي ، لا يعترف بالديانات و الثقافات الأخرى .

• يمكن أن نلخص بعض أهداف الحوار فيما يلي :

(1) تطوير العلاقات الدينية و الثقافية بين الشعوب، و بنائها على أساس الاعتراف بالتعددية الدينية و الثقافية ، و ما تفرزه التعددية من قيم التسامح ، و نبذ التعصب الديني و الثقافي و القضاء على كل أشكال الاضطهاد.

(2) تنمية العلاقات السلمية بين أهل الأديان و الثقافات، و رفض الحروب كوسيلة لحل النزاعات الدينية و الثقافية، و دحض كل النظريات المؤيدة للصراع و الساعية إلى تحقيق الصدام بين البشر على أسس دينية و ثقافية.

(3) تصحيح صورة الأديان و الفرق، و إزالة الشبهات و تصحيح الأخطاء حولها و تكوين معرفة سلمية من خلال الحوار.

(4) تطوير أسلوب الخطاب الديني و الثقافي الموجه إلى الغير ، و تحويله من خلال الحوار إلى أسلوب إيجابي ينشر قيم التسامح الديني و الثقافي، و يتلاءم مع العصر و مقتضياته ، ويعبر عن قضية العلاقة بين الأديان و الثقافات الأخرى ، و تحديد آلية التطوير من خلال المناهج الدينية و التعليمية ، و تطوير أجهزة وسائل الإعلام¹.

و في الأخير فإن الحوار مسؤولية كل مثقف عاقل في هذا العصر و ما يحمله من التنوع في ظل الوحدة الإنسانية . و هذا التنوع ضرورة اجتماعية و تاريخية ، تضمن ارتقاء الإنسان في المجتمعات . و الحوار لا يكتمل إلا من خلال شروط التكافؤ و التي تتمثل في الإرادة المشتركة و أن يكون على مستوى طرفين و إلا كان عبارة عن هيمنة و سيطرة ، فلكل دين

¹ - المرجع نفسه ، ص 30-31.

و ثقافة الحق في التعبير الحر عن مفاهيمها و اعتقاداتها من أجل مصلحة المجتمع ، دون ممارسة أي ضغوط.

2. أهمية التسامح و الحوار بين الثقافات:

يلعب التسامح دورا مهما في تدعيم التعددية الثقافية و الحوار بين الثقافات ، و المجتمعات اليوم تتطلع إلى أن يشمل مفهوم التسامح نطاق أوسع ، و أكثر إيجابية و هذا لن يتحقق إلا عن طريق بذل مجهود كل ثقافة من أجل الانفتاح على الثقافات الأخرى و المختلفة عنها. التسامح موقف إيجابي متفهم للعقائد و الأفكار، و هذا ما يسمح بتعايش الرؤى و الاتجاهات المختلفة و هو امتزاج بين الفكر و الأخلاق باعتباره يحدد طريقة التعامل على المستوى النظري و الأخلاقي. و ينبغي أن يتحول إلى موقف انساني و التزام أخلاقي ، و الحكمة دائما ما تتغلب على العنف .

و يتوجب تفعيل مفهوم التسامح إذ أن « إشاعة أجواء السلم و التسامح والقبول بالآخر وجودا و رأيا هي السلاح الفعال في القضاء على العنف البشري¹ » و هذا ما يسمح بتحقيق مجتمع تعددي في ظل أجواء سلمية.

لا يمكن القول أن ثقافة واحدة تملك الحقيقة ، لأن هذا غالبا ما يؤدي إلى ظاهرة التعصب و الاستبداد ، و رفض تقبل أفكار الآخرين . و الدعوة إلى الحوار بين مختلف الثقافات يتطلب الوعي اللازم لظاهرة الاختلاف باعتبارها أهم الخصائص للمجتمعات البشرية.

أعلنت الأمم المتحدة عام 1996 أنه سيكون عاما للتسامح على المستوى الدولي ، و حث "اعلان المبادئ بشأن التسامح" عن منظمة اليونسكو(منظمة الأمم المتحدة للتربية و التعليم و الثقافة) و الاحتفال بيوم 16 نوفمبر يوما للتسامح.² و دعا للاعتماد على أساليب منهجية

¹- د. علي محمود المحمداوي ، خطاب الهويات الحضارية من الصدام إلى التسامح ، مرجع سبق ذكره.ص 165.

²- د. عبد الحسين شعبان ، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي ، مرجع سبق ذكره .ص.69

و عقلانية لتعليم التسامح . و يعد هذا الإعلان تطورا دوليا مهما و هو من المرتكزات الأساسية لكل مجتمع مدني و تقرير السلم و الاعتراف بالآخر .

يعد التسامح واجب سياسي و أخلاقي و لتعميم هذا المبدأ ينبغي حماية الحقوق و الحريات و توزيع الواجبات . و على الدولة أن لا تتحيز في القوانين و في تنفيذها و « أن يحظى كل فرد بالحظوظ الاجتماعية و الاقتصادية بدون تمييز »¹ .

و يشكل الحاجة إلى التسامح أمر ضروري لمعالجة العديد من المشاكل و تقادي النزاعات و الصراع ، « لكي لا يكون التعصب بديلا ، و لكي لا يكون العنف سبيلا ، و لكي لا يكون التكفير خيارا »² و لهذا لا يمكن مواجهة التعصب عن طريق التعصب ، و إنما يكون ذلك بالتسامح و لا ينبغي اعتباره موقفا ضعيفا بل هو دليل عن مدى وعي الإنسان و قوة ضميره و عظمة الروح الأخلاقية.

أصبحت الثقافة العربية الاسلامية اليوم بحاجة ماسة إلى قيم التسامح و نجاح الحوار بين الثقافات ، و هو ليس مجرد فضيلة أخلاقية بل هو أقرب إلى الواجب ، لذلك يجب مراجعة الخطاب الاسلامي الذي لا يقوم على التسامح ، و الدعوة إلى خطاب جديد ديني ينهض على قاعدة التسامح و التتوير و التواصل مع الآخر.³

و نجد القرآن الكريم قد ربط بين وحدة الأصل الإنساني و التنوع الإنساني التي أكدها في الآية الآتية : ﴿ و جعلناكم شعوبا و قبائل ﴾ . و وحدة الأصل الإنساني لا تعني إلغاء التنوع بين الناس ، بل أكد على التعدد و التنوع الذي يؤسس على التعارف و التسامح بين الأمم و تقادي التصادم من أجل القوة و السيادة .

¹- هوبرس هوفمان ، قانون التسامح ، مرجع سبق ذكره . ص 254.

²- د. علي محمود المحمداوي ، خطاب الهويات الحضارية من الصدام إلى التسامح ، مرجع سبق ذكره. ص 169.

³- المرجع نفسه، 170..

من الصعب الإقرار بنجاح الحوار بين مختلف الثقافات و الشعوب إذا اعتبر كل طرف أن رأيه هو الصحيح و الحقيقة المطلقة. و مبدأ الحوار لا يجب أن يقتصر فقط على الواجهة الدينية بل ينبغي أن يمتد ليشمل مختلف المجالات الحياتية ، و المكونات الثقافية كالفلسفة و القيم الإنسانية المشتركة.

و نحن بحاجة إلى مجتمع مدني يكون شريكا فاعلا مع الدولة التي يجب أن تعمل وفقا لسيادة القانون و المساواة بين المواطنين ، و يتطلب ذلك إعادة النظر في الكثير من القوانين و المناهج التربوية و التعليمية لتفادي أشكال العنف و التعصب و العنصرية ، و فتح المجال لحرية التعبير و حق الاختلاف دون خوف.

خاتمة

خاتمة :

لم تكن فكرة التسامح وليدة لحظة تاريخية واحدة بل شهدت تطورا تاريخيا طويلا و كان لفلاسفة الأنوار دورا كبيرا في تخليص التسامح من قيود الكنيسة، و قد ساهم ذلك في بناء نهضة الفكر الفلسفي عن طريق تحرير العقل ، حيث تم النداء إلى ضرورة سيادة خطاب التسامح ، و نبذ كل أنواع التعصب الذي كان سائدا في العصور الوسطى ، و ابرز هذه الخطابات ما نادى به "لوك" و "فولتير" من خلال رسالة التسامح و ذلك للخروج من النزاعات المتعددة خاصة الدينية منها عن طريق الفصل بين وظيفة الدولة و وظيفة الكنيسة .

و تعد الاعمال السياسية للفيلسوف الانجليزي "جون لوك" من الأعمال الرائدة و المؤسسة للفكر السياسي الحديث ، وقد جمعت نظريته السياسية بين العقلانية ، و التجريبية تتميز بكونها شاهدة على الثورة الانجليزية عام 1689 المبشرة بسقوط نظرية الحكم المطلق المبنية على أسس دينية لاهوتية . كما عكست وجهة نظره في نظام الحكم و في الأسس التي ينبغي أن توجهه و في نوعية العلاقات بين الحكام و المحكومين من خلال نظريته في العقد الاجتماعي، و ينطلق لوك من وصف الحالة الطبيعية التي ينشأ في إطارها الناس قبل أن يتأطروا سياسيا . فهم يتمتعون بمجموعة من الحقوق الطبيعية مما ينشأ عنه صراعات و نزاعات بسبب افتقار الحالة الطبيعية لبعض المحددات الضرورية للعيش في إطار مجموعة بشرية ، و من أجل تجاوز هذا الوضع و الحفاظ على الحقوق، و ضمان الحريات الفردية و الجماعية بشكل مستمر و متواصل ينبغي عليهم ابرام موثيق و عقود تخول لهم الانتقال من حالة الطبيعة إلى حالة جديدة منظمة سياسيا و اجتماعيا ، إضافة إلى الحق في مقاومة كل أشكال الطغيان السياسي ، هذا فيما يتعلق بقضية السلطة و الحكم .

تطرق أيضا "لوك" إلى مسألة الدين المسيحي ، و قضية التسامح الديني كما وضح هذه الفكرة على أساس أن الله لم يمنح أحدا الحق في التدخل في روح شخص آخر أو معتقده . و عليه كل شخص حر في أن يعتنق الدين الذي يختاره ، و يمارس الطقوس التي تحلو له ، و القوانين

القمعية أو العقوبات لا تجدي نفعا في هذا المجال و لا تستطيع أن تولد اقتناعا داخليا حقيقيا في روح الإنسان ، فالدين ليس له وسيلة لجذب الناس إليه إلا عن طريق الحجج المنطقية و الكلام المقنع دون اكراه. و ينتج عن كل ذلك أن الإيمان مسألة شخصية تخص علاقة الإنسان بربه ، لا يحق لأي مخلوق أن يتدخل فيها حتى و لو كان رئيس دولة.

و من هذا المنطلق أسس لوك لمفهوم التسامح الديني الذي اعتبره ضرورة أساسية لكل مجتمع مدني من خلال الفصل بين السلطة و مجالها الدنيوي ، و بين المؤسسة الدينية المتمثلة في الكنيسة و مجالها الروحي لضمان حرية الأفراد لأن التسامح ليس ضد الدين و لا ضد العقل بل هو حل عقلاي لتجاوز مختلف الصراعات و النزاعات.

يعتبر فولتير من الفلاسفة الذين اقترنت أسماءهم بالدعوة إلى التسامح ، و قد ارتبط التسامح عنده بحرية العقيدة و نادى بدوره بالفصل بين الكنيسة و الدولة و تحرير المجال السياسي من أشكال الهيمنة و التعصب . أما "جون ستيوارت ميل" فقد كان هو الآخر من أشد المدافعين عن التسامح في القرن التاسع عشر حيث ربطه بالحرية الفردية المطلقة.

و عليه نلاحظ أن الفكر الأوروبي سار بخطوات متميزة نحو الحرية الدينية الكاملة و لم يستطع الوصول إليها دفعة واحدة . و كان له تأثيرا واسعا في الفكر المعاصر من خلال الإعلان العالمي لحقوق الإنسان و الدعوة إلى الحوار و التعايش بين مختلف الأديان و الثقافات.

و المجتمعات العربية الاسلامية كان لها نصيب هي الأخرى في المساهمة بالدعوة إلى التسامح حتى و إن كان ذلك بقدر ضئيل في أرض الواقع . و التسامح وفق المنظور الاسلامي يعد فضيلة أخلاقية ، و سبيل لضبط الاختلافات و إدارتها ، فالإسلام دين عالمي يتجه إلى البشرية جمعاء ، و هذه الرسالة تدعو إلى التعايش الإيجابي بصرف النظر عن أجانسهم ، و ألوانهم ومعتقداتهم .

و أخيرا يمكن القول أن المجهودات التي قام بها الفلاسفة و المفكرون على مدى التاريخ الإنساني في سبيل تحقيق السلم و الوئام يلعب دورا كبيرا في تجاوز حالات اللا انسجام و التوتر و الخصومات ، و هو عامل محفز لبيذل المفكرون و المثقفون عامة جهودا أخرى على درب إشاعة التسامح و تفعيل هذا المبدأ بين الجماعات و الأفراد، و هذا يحتاج إلى آليات تعزز مواجهة اللاتسامح و مناهضته بتدعيم التشريع و الإجراءات القانونية التي تحارب كل أشكال التعصب و التمييز العنصري و فتح الحوار و تبادل الآراء و التفاهم بين الناس، و الشعوب و الأديان، و الثقافات و احترام التنوع و الاختلاف بين هؤلاء جميعا ضرورة ملحة و ليست رفاهية ، فالوعي بذلك أمر ضروري يجب أن نعلمه للأجيال الجديدة ، و ذلك عن طريق الحوار الذي يعد قيمة حضارية ينبغي الحرص عليها ، بل هو ضرورة من ضروريات العصر.

قائمة المصادر و المراجع :

• المصادر:

1. لوك جون ، الحكومة المدنية ، تر محمود شوقي الكيال بدون طبعة ، القاهرة : دار القومية لطباعة و النشر ، بدون تاريخ.
2. لوك جون ، رسالة في التسامح ، تر منى أبو سنة ، تقديم و مراجعة مراد وهبة الطبعة الأولى ، مكتبة الإسكندرية : المجلس الأعلى للثقافة، 1994 .

• المراجع :

1. برهيه إميل ، تاريخ الفلسفة ، تر جورج طرابشي الطبعة الثانية، بيروت : دار الطليعة للطباعة و النشر 1993 ، الجزء الخامس.
2. د . محمود علي المحمداوي ، الفلسفة السياسية كشف لما هو كائن و خوض في ما ينبغي للعيش معا الطبعة الأولى، لبنان : مكتبة مؤمن قريش ، 2015.
3. د. ابادير نبيل طاموئيل ، حوار الثقافات ضرورة مستقبلية أو رفاهية بدون طبعة ، القاهرة : المكتبة الأكاديمية 2005.
4. د. ابراهيم ابراهيم مصطفى ، الفلسفة الحديثة من ديكرت إلى هيوم بدون طبعة ، دار المعرفة الجامعية ، 2001 الجزء الأول.
5. د. احمد محمد خليفة حسن ، الحوار منهجا و ثقافة الطبعة الأولى، قطر : مركز البحوث و الدراسات 2008..
6. د. أميرة حلمي مطر ، في الفلسفة السياسية بدون طبعة ، القاهرة : دار الثقافة للنشر و التوزيع ، بدون تاريخ.
7. د. بشارة عزمي ، الدين و العلمانية في سياق تاريخي الطبعة الأولى، بيروت : المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات 2015 الجزء الثاني، مجلد 1 .
8. د. حورية توفيق مجاهد ، الفكر السياسي من افلاطون إلى محمد عبده الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلومصرية ، بدون تاريخ.

9. د. شعبان عبد الحسين ، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي الطبعة الأولى ، العراق : آراس للطباعة و النشر 2011.
10. د. صليل مهدي ، التعددية الدينية الطبعة الأولى ، المملكة العربية السعودية : فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية 2015.
11. د. عبد العزيز التويجري ، الإسلام و التعايش بين الأديان في أفق القرن 21 . الطبعة الثانية، الرباط : منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة 2015.
12. د. عبود علي المحمداوي ، خطاب الهويات الحضارية من الصدام إلى التسامح الطبعة الأولى ، بيروت : ابن النديم للنشر و التوزيع 2012.
13. د. عثمان التويجري عبد الرزاق بن ، الحوار من أجل التعايش الطبعة الأولى، القاهرة : دار الشروق 1998.
14. د. عزمى اسلام ، جون لوك بدون طبعة ، القاهرة : دار الثقافة للنشر و التوزيع ، بدون تاريخ .
15. د. فتحي محمد الشنيطي ، الفلسفة السياسية الطبعة الأولى ، الإسكندرية : دار الوفاء لنديا الطباعة و النشر ، 2010.
16. د. فريال حسن خليفة ، الدين و السياسية في فلسفة الحداثة بدون طبعة ، القاهرة : مصر العربية للنشر و التوزيع ، 2005.
17. د. محبوب عبد الحفيظ عبد الرحيم ، الإرهاب و الشرق الطبعة الأولى، لندن : شركة بريطانية مسجلة في لندن 2017.
18. د. محمد فضل الله اسماعيل ، د. سعيد محمد عثمان ، نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي بدون طبعة ، الإسكندرية : مكتبة بستان المعرفة للطباعة و نشر الكتب ، 2006.
19. د. محمد فضل الله اسماعيل ، رواد الفكر السياسي الغربي الحديث بدون طبعة ، الاسكندرية : دار الجامعة الجديدة 2008.
20. د. محمد فضل الله اسماعيل ، فلسفة سياسية بدون طبعة ، الاسكندرية : دار الجامعة الجديدة ، 2008 .

21. د. مفتي محمد بن أحمد ، نقد التسامح الليبرالي بدون طبعة ، مركز البحوث و الدراسات 1431 هـ.
22. د. عبد الرزاق الداوي ، في الثقافة و الخطاب عن حرب الثقافات الطبعة الأولى، بيروت : المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات 2013.
23. د. عبد رضا الطعان ، د. علي عباس مراد ، عامر حسن فياض ، موسوعة الفكر السياسي عبر العصور الطبعة الأولى، بيروت : ابن النديم للنشر و التوزيع ، 2015.
24. دن جون ، جون لوك مقدمة قصيرة جدا، تر فائقة جرجس حنا و مراجعة هبة عبد المولى ، الطبعة الأولى ، القاهرة : مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة 2016.
25. ديلاو ستيفن ، التفكير السياسي و النظرية السياسية و المجتمع المدني ، تر ربيع وهبة و مراجعة علاء أبو زيد بدون طبعة ، 1997.
26. رايت وليم كلي ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، تر محمود سيد أحمد تقديم و مراجعة إمام عبد الفتاح إمام الطبعة الأولى ، بيروت : التتوير لطباعة و النشر و التوزيع 2010.
27. سمير الخليل و آخرون ، التسامح بين شرق و غرب ، تر ابراهيم العريس الطبعة الأولى ، بيروت : دار الساقى ، 1996.
28. عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية الطبعة الأولى، ليبيا : دار الكتاب الجديدة المتحدة 2004.
29. مجموعة من الأكاديميين ، التعددية و آليات الحوار الطبعة الأولى، بيروت : ابن النديم للنشر و التوزيع 2016.
30. ناصر حامد أبو زيد ، الخطاب و التأويل الطبعة الثالثة ، المغرب : المركز الثقافي العربي 2008.
31. هوفمان هوبرتس ، قانون التسامح ، تر عادل خوري الطبعة الأولى ، القاهرة : العربي للنشر و التوزيع 2014.

• القرآن الكريم .

• المصادر باللغة الفرنسية :

- 1-J.LOCK , Deux traités du gouvernement , TR et
Présentation Bernard Gilson Paris : Librairie Philosophique
1997.
- 2-jhon lock , lettre sur la tolérance , trad jean le clerc
édition électronique réalisée à partir du livre de John Locke
, 1710.
- 3- jhon lock gean , œuvres diverses de monsieur jean lock , trad
Gean le clerc bibliothèque angelica rome : chez fritsh et bohm
1710.

• **المجلات :**

1. عبد الله الوهاب بوحديبة ، « التعددية الدينية » ، قضايا اسلامية معاصرة
32-31 (2006).

• **الموسوعات الفلسفية :**

1. د. عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة الطبعة الأولى، بيروت : المؤسسة
العربية للدراسات و النشر و التوزيع 1984 الجزء الثاني.
2. ابن منظور ، لسان العرب ط3 ، بيروت : دار صادر 1994 ، الجزء
الخامس.
3. أندريه لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، اشراف احمد عويدات ، تر أحمد
خليل الطبعة الثانية ، بيروت : منشورات عويدات ، 2001 ، الجزء الأول.
4. جميل صليبا ، المعجم الفلسفي بدون طبعة ، بيروت : دار الكتاب اللبناني
1982 ، الجزء الأول.
5. طوني بينيت و آخرون ، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة و
المجتمع ، تر سعيد الغانمي الطبعة الأولى، بيروت : المنظمة العربية للرجمة
2010.

• الرسائل الجامعية :

1. د/حورية منصوري معيز ، ابستمولوجيا الخطاب بين المقاربة الفلسفية و المقاربة السيميائية نماذج نصية من الفلسفة الإسلامية رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله ، سنة 2016.